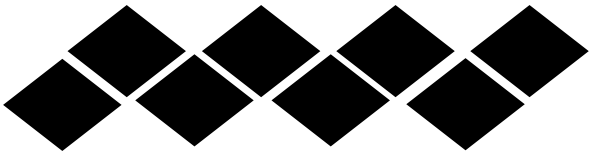

متطوعة بني مرين ودورهم الجهادي والسياسي في دولة بني الأحمر بغرناطة (٦٦١- ٧٧٠هـ/١٢٦٢- ١٣٦٨م)

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

د. سعيد عبد الجواد أبو زيد
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود- جامعة الأزهر

-الملخص:

متطوعة بني مرين ودورهم الجهادي والسياسي في دولة بني الأحمر بغرناطة (٦٦١- ٧٧٠هـ/ ١٢٦٢- ١٣٦٨م).

لقد كان للمجاهدين والمتطوعة دورٌ كبيرٌ في الجهاد والنواحي العسكرية، والصراع الدائر مع نصارى الأندلس، بل كان الهدف منها هو مجابهة المدِّ الكبير لنصارى الأندلس، وحماية الإسلام والمسلمين هناك، ولم يقتصر دورها على الدور الجهادي، بل كان لهم دورٌ سياسيٌّ مشهودٌ تكاد لا تخطئه العين، هذا الدور له ما له، وعليه ما عليه، خاصة في تحديد طبيعة العلاقات السياسية بين كلا الدولتَيْن: بني الأحمر، وبني مرين، ولم يكن هذا الدور في كل الأحوال مشرفًا، فقد تهاوى إلى تخليص الحسابات السياسية، وتحقيق الأطماع الشخصية.

ولقد أصبحت غرناطة في عهد شيوخ المجاهدين مركزًا للجهاد، فكل مَنْ يريد الشهادة يرحل لها؛ للدفاع عن بلدٍ أصبحت في مهبِّ الريح، وسكانها غرباء في مواجهة زحفٍ صليبيٍّ حاقدٍ؛ لذلك كانوا في كل المناسبات حاملين السلاح، وبالرغم من ذلك لم ينل شيوخ المجاهدين نصيبَهم الكامل من الاهتمام والدراسة، إلا ما كان في هيئة نتف وشذرات من المعلومات ترد هنا وهناك في ثنايا الحديث عن تاريخ المغرب والأندلس، وخاصة عند الحديث عن غرناطة.

وقد جاء البحث في مقدمة تناولت فيها التعريف بشيوخ المجاهدين، وفكرة وأسباب اختيار الموضوع، وأهم المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع، وتمهيد للموضوع تناول عناصر تكوين مشيخة المجاهدين، وعوامل وأسباب قيامها وتكوينها، ومبحثين أساسيين، الأول منهما تناول الدور الجهادي لشيوخ المجاهدين، والثاني تناول الدور السياسي لشيوخ المجاهدين، ثم كانت الخاتمة، وأنهيت البحث بثبت بأهم المصادر والمراجع التي استعنت بها في تناول الموضوع.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

لقد كان للمجاهدين والمتطوعة دورٌ كبيرٌ في الجهاد والنواحي الحربية والعسكرية، والصراع الدائر بين المسلمين ونصارى الأندلس، بل كان الهدف منها هو مجابهة المدِّ الكبير لنصارى الأندلس، وحماية الإسلام والمسلمين هناك.

ولم يقتصر دور شيوخ المجاهدين على الدور العسكري الجهادي، بل كان لهم دورٌ سياسيٌّ مشهودٌ تكاد لا تخطئه العين، وهذا الدور له ما له، وعليه ما عليه، وخاصة في تحديد طبيعة العلاقات السياسية بين كلا الدولتَيْن: بني الأحمر، وبني مرين، وهذا الدور السياسي لم يكن في كل الأحوال مشرفًا، فقد تهاوى إلى تخليص الحسابات السياسية، وتحقيق الأطماع الشخصية.

وللمجاهدين من بني مرين شيوخٌ عظامٌ تولوا زعامتهم وقيادتهم، وقاموا بدورٍ فعَّالٍ في الدفاع عن مملكة الإسلام بالأندلس، مثل: عثمان بن أبي العلاء، الذي قام بقيادة غزوات كثيرةٍ ضد نصارى الأندلس، فأصبحت مملكة غرناطة مركزًا للجهاد، فكل مَنْ يريد الشهادة يرحل لها؛ للدفاع عن بلدٍ أصبحت في مهبِّ الريح، وسكانها غرباء في مواجهة زحفٍ صليبيٍّ حاقدٍ؛ لذلك كانوا في كل المناسبات حاملين السلاح، وأرواحهم فداءً لهذا الوطن، ودفاعًا عن الدين.

وبالرغم من أنَّ عناصر الجيش الإسلامي في بلاد المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس، قد حَظِيت باهتمام وعناية الباحثين، إلا أن عنصرًا مهمًّا من تلك العناصر، وهو شيوخ متطوعة بني مرين «المجاهدون في سبيل الله لنصرة الإسلام ورفع كلمته ورايته»، لم ينالوا نصيبَهم من ذلك الاهتمام، باستثناء ما أشار إليه بعض الباحثين إبَّان حديثهم عن مملكة غرناطة، وما جرى لها على يد نصارى الأندلس، وهذا الذي دفعني إلى العمل على إلقاء بعض الضوء على حياة شيوخ المجاهدين من بني مرين، وإبراز الدور المهمّ الذي اضطلعوا به خلال هذه الفترة الحاسمة والحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية في الأندلس، والدور الجهادي الذي قاموا به؛ للدفاع عن هذه البلاد، وأهلها،

بالإضافة إلى بعض الأعمال السياسية التي زجُّوا بأنفسهم فيها، فاستغلها البعض لتصفية الحسابات.

وكانت من أهم المصادر العربية التي تناولت الموضوع ما يلي:

١- ابن أبي زرع: أبو الحسن بن عبد الله الفاسي (ت ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب، وتاريخ مدينة فارس، (الرباط ١٩٧٢م). والذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، (الرباط ١٩٧٢م).

٢- ابن الخطيب: لسان الدين ابن الخطيب السلماني (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٦٤م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، (مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ت: محمد زينهم محمد عزب (القاهرة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٣- ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (ت ٨٠٧/ ١٤٠٤م): روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، (الرباط ١٩٩١م). ونثر فرائد الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية (بيروت ١٩٧٦م).

٤- ابن خلدون: عبد الرحمن (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَنْ عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بولاق مصر، نسخة أخرى، (بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٥- المقري: أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٧١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، (بيروت ١٩٦٨م).

٦- السلاوي: أحمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (المغرب ١٩٥٥م).

ومن المراجع العربية:

- عبد الرحمن على الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (دمشق ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
- محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، (القاهرة ١٩٤٩م). ولسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، (القاهرة ١٩٦٨م).

- محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، (الكويت ١٩٨٥م).
- مصطفى أبو ضيف: أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصر الموحدين وبني مرين، (إسكندرية ١٩٨٣م).

وموضوع هذا البحث: «متطوعة بني مرين ودورهم الجهادي والسياسي في دولة بني الأحمر بغرناطة ٦٦١هـ- ٧٧٠هـ/ ١٢٦٢م- ١٣٦٨م».

تناولت في المقدمة التعريف بشيوخ المتطوعة المجاهدين، وفكرة وأسباب اختيار الموضوع، وأهم المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع، وتمهيدًا تناولت فيه عناصر وتكوين مشيخة المجاهدين، وعوامل وأسباب قيامها وظهورها، وما تختص به هذه الطائفة وشيوخها من مكانة أدبية مرموقة لدى العامة والخاصة لجهادها ضد النصارى، فنالت تقدير واحترام وإعجاب الجميع، كما تمتعت بمركز مالي محترم، فقد كثرت مخصصاتهم المالية من العطايا، والمنح، والهدايا، كما ذكرت الأسلحة التي كانوا يتدربون عليها، ويستخدمونها في معاركهم، ثم ذكرت ما وصل إليه شيوخ المجاهدين من مكانةٍ ونفوذٍ لدرجة تدخلهم في تعيين وعزل كثير من سلاطين وملوك بني الأحمر.

ومبحثين أساسيين، الأول منهما تناولتُ فيه الدور الجهادي العسكري لهذه الطائفة، وشيوخها، وأهم المعارك التي دارت بينهم وبين النصارى، والانتصارات التي حققوها؛ للدفاع عن الإسلام، وأهل هذه البلاد، وحمايتهم من خطر النصارى المحدقين بهم، وإطالة عمر الإسلام في هذه البلاد.

ثم تحدثتُ في المبحث الثاني عن الدور السياسي الذي قام به شيوخ المجاهدين في بلاد المغرب والأندلس، وكيف كانوا شوكةً تقلق مضاجع ملوك بني مرين، فقاموا بثورات ضدهم استغلها ملوك بني الأحمر في بعض الأوقات لحسم وتصفية الحسابات بين الدولتين، ثمَّ تحدثت عن العلاقة بين أبناء أبي العلاء شيوخ المجاهدين وملوك مملكة أراجوان، ثم أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثمَّ بثبتٍ للمصادر والمراجع، وختمت بالفهرس.

هذا وأحمد الله –تعالى– رب العالمين وأثني عليه الخير كلَّه على ما منَّ به عليَّ من نعمةٍ، وفضلٍ، وأشكره، وأشكر كلَّ من قدم إليَّ نصحًا، أو عونًا من أساتذتي الأفاضل، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأرجو أن يسد هذا البحث فراغًا في مكتبتنا التاريخية، وتخصصنا التاريخي، فإن أصبتُ فما توفيقي إلا بالله –تعالى– عليه توكلت، وعليه فليتوكل المتوكلون، وإن كانت الأخرى فحسبي أنِّي بذلت جُهدي، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

د/ سعيد عبد الجواد أبو زيد

التمهيد:

متطوعة بني مرين هي قوات عسكرية مغربية أقامها المرينيون[١] قرب مملكة غرناطة[٢] في القرن ١٣م، لمتابعة الدفاع والجهاد عن ما تبقى من بلاد المسلمين في الأندلس، وتولى شيوخها وزعماؤها أهم المناصب العسكرية في مملكة غرناطة، ولبثت في الوقت نفسه دهرًا وقفًا على القادة من بني مرين.

---

(١) تنسب دولة بني مرين إلى فخذ قوي من قبيلة زناتة التي تسكن الصحراء، وينتقلون ما بين ملوية وسجلماسة، أي من القبائل الرحل، وكانت لهم اتصالات قوية حينًا، وضعيفة حينًا آخر بالدول التي تحكم المغرب، وكانت أول مشاركتهم الفعلية في موقعة الأرك عام (٥٩١هـ/ ١١٩٥م) بقيادة الأمير محيو بن أبي بكر المريني، ولم يفكر المرينيون في التوغل داخل الأراضي المغربية إلا في عام ٦١٠هـ/ ١٢١٢م إثر هزيمة العقاب، وقد تولى الأمير عبد الحق بن محيو المريني بنفسه عملية التقدم من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى، ودخلوا في صدامٍ مع الموحدين استمر ثمانية وخمسون عامًا، انتهى على يد السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني الذي دخل مراكش عام ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م، وأعلن قيام دولة بني مرين.

انظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس: صـ١٣٠٤، (الرباط ١٩٧٢م)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: صـ١٦١، دار المنصور للطباعة، (الرباط ١٩٧٢م)، ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور: صـ٢٩، (الرباط ١٩٩١م)، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ذكر البربر ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: ج٧ صـ٢٢١، ٢٢٢ (بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: ج٣ صـ١٤ (المغرب ١٩٥٥م)،.

(٢) **غرناطة**: مدينة عظيمة من مدن الأندلس بينها وبين البيرة ستة أميال، لما خربت البيرة انتقل أهلها إلى غرناطة، ومدَّنها وحصن أسوارها وبنى قصبتها حبوس الصنهاجي، ثم كملت في أيام ابنه باديس، يشقها نهر حدره، فيكثر بها الأشجار، والزروع، والثمار، مدينة غنية بخيراتها، فهي أطيب البقاع نفعة، وأكرم الأرضين تربة، تكثر بها المعادن من الذهب، والفضة، والحديد، والرصاص، وما من فاكهة توصف وتستطرف إلا منها، يكثر بها العلماء، والمساجد، وأسواقها عامرة، وتسمى سنام الأندلس. للمزيد انظر: ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٨هـ= ١٣٤٧م)، وصف إفريقية والمغرب والأندلس، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب: صـ٤١، (تونس د.ت)، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان: ج١ صـ٩١- ٩٩، (مصر ١٩٧٣م)، ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد)، تحفة النظار في غرائب الأمصار، تحقيق: طلال حرب: صـ١٤، (بيروت ١٩٨٧م)، ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٤ صـ١٩٥، الحميري، الروض المعطار: صـ٢٣- ٢٤.

وكان لهم دورٌ كبيرٌ في مساعدة أهل غرناطة على صدِّ الهجمات النصرانية التي كانت تقوم بها القوات القشتالية، فكان لهؤلاء المتطوعة وشيوخهم دورٌ مشرّفٌ في معارك الجهاد بالأندلس، إلا أنهم زجُّوا بأنفسهم في الخلافات الداخلية مع سلاطين بني الأحمر.

وكان شيخ المجاهدين والمتطوعة الذي يقود هذه الفرقة العسكرية المغربية يعين من طرف وقِبَل السلطان المريني، ويكون في الغالب أميرًا من الأسرة الحاكمة. وهؤلاء الشيوخ ومن معهم من فرق متطوعة هم مجاهدون في سبيل الله يتطوَّعون للجهاد(١)، إلى جانب الجيش النظامي إيمانًا بفريضة الدفاع عن حوزة الإسلام والمسلمين(٢)، وكانت أعدادهم قليلة أمام قوات النصارى، إلا أنهم عوضوا نقصهم بالإيمان، وصدق اللُّجوء إلى الله، فأنزل الله نصرَه عليهم، وهؤلاء الشيوخ وما يتبعهم من متطوعة لم يكونوا من أهل الديوان(٣)، وإنما كانوا يفدون من القرى، والبوادي، والأمصار(٤)، أو لأمر إمام المسلمين بالنفير العام للجهاد في سبيل الله، امتثالًا لقول الحق -تبارك وتعالى-: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [سورة التوبة: الآية رقم ٤١].

عوامل قيام وظهور هذه الفرقة:

والحقيقة أنه كانت هناك عدة عوامل جعلت من ظهور هذه الفرقة أمرًا حتميًا عجلت به، وجعلت منه ضرورة تقتضيها الظروف القائمة ومنها:

١- إعلاء راية الجهاد في سبيل الله ببلاد الأندلس:

يقول ابن خلدون عن رغبة بني مرين في إحياء الجهاد في سبيل الله: «وكان ليعقوب ابن عبد الحق أمل في الجهاد، وحرص عليه، فاعتزم في سلطان أخيه أبي يحيى على

---

(١) ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ)، لسان العرب: ج٨ صـ٢٤٣ (بيروت، د.ت).

(٢) عبد الله بن سعيد بن محمد سافر الغامدي، دور المتطوعة في حركة الجهاد ضد الصليبيِّين والمغول، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني م١ (القاهرة، مارس ١٩٩٤م)، صـ٣٢٧، ٣٢٨.

(٣) **الديوان:** في الأصل هو الكتاب المحتوي على أصحاب العطاء، ومرتبات الجنود، ثمَّ أطلق على السجلات التي تثبت فيها الإيرادات والمصروفات، ثمَّ أطلق على الأمكنة التي توجد فيها السجلات، ويعمل فيها القائمون عليها. انظر: ابن منظور، لسان العرب: ج٨ صـ٢٤٣، يوسف علي يوسف، الخلافة الراشدة والخلفاء الراشدون، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م- دار الطباعة المحمدية، الأزهر: صـ٦٤.

(٤) نظير حسان سعداوي، جيش مصر في أيام صلاح الدين (القاهرة ١٩٥٩م)، صـ١٧.

الإجازة لذلك، فمنعه ضنة به عن الاغتراب عنه، وأوعز إلى صاحب سبتة يومئذٍ أبي علي بن خلاص بمنعه منها»[١].

وقد كان الأندلس يشهد صراعًا دمويًّا مريرًا بين المسلمين الذين يحاولون التشبُّث بما بقي لهم من دوحة الأندلس، وبين النصارى المتغوِّلين الذين تدفعهم أحقادٌ دفينةٌ، وإحنٌ عصبيةٌ كثيرةٌ، ولم يعد الصراع متكافئًا بين مملكة غرناطة وممالك إسبانيا النصرانية[٢]**؛ حيث شعر أهلها ما تبقى من الأندلس بأنهم كالغرباء في بقعةٍ من الأرض محاطةٍ بالبحر، وبالأعداء، وتنقل لنا كتابات المؤرخين المسلمين المعاصرين صورةً قاتمةً لأحوال المسلمين هناك، الذين لم يعد لهم نصير بعد الله –عزَّ وجلَّ– فيصف ابن الخطيب مسلمي الأندلس بأنهم غرباء، وقد جاء هذا الوصف في أكثر من موضع فيقول: «أدعو الله أن يعينهم على إقامة الدِّين في هذا الوطن الغريب»**[٣]**، وفي موضعٍ آخر يقول: «وإن الله تعالى وليُّ هذه**

---

(١) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٨٥.

(٢) ممالك إسبانيا النصرانية، منها:

- **مملكة قشتالة:** وهي من أكبر وأضخم الممالك المسيحية مساحةً، وأشدها عداوةً وحماسًا لاسترداد مدن وأراض الأندلس من أيدي المسلمين، بل وتسعى جاهدة في طرد المسلمين من بلاد الأندلس، لما تقوم به من مشاريع تعاون بينهما وبين الممالك النصرانية الأخرى في القضاء على المسلمين، وعلى ما تبقى لهم فيها، ولا سيما مملكة غرناطة أقرب الأراضي لها، والتي تحدها من الجنوب، وكان من ملوكها الذين عاصروا هذه الفترة الفنش بن فرانده، والذي كان يملك قشتالة، وليون، والمستولي هو وأبوه على معظم بلاد المسلمين بالأندلس (إشبيلية، وقرطبة، ومرسية، وجيان، وغيرها)، وصار الملك بعده في ولده شانجة، ومن بعده في ذريته. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة: صـ٦٦، ٨١، ١٠٨.
- **مملكة أراجون:** والتي تقع في شرق الأندلس ومن ملوكها: الطاغية جايمش بن بيطرة بن جايمش، والذي تغلب على بلنسية، ثم ولي بعده ابنه الهونش بن جايمش، وكانت أراجون تخاف من أطماع ملوك قشتالة في السيطرة على مساحات من أراضيها؛ لذلك كثيرًا ما كان ملوكها يعملون على تحسين العلاقات بينها وبين ملوك غرناطة، فكانت بينهما علاقات صداقة وود، إلا أن ذلك لم يؤثر على أهداف ومقاصد شيوخ المجاهدين، فلم يحدث بينهما ما يؤثر على قضيتهم في الحفاظ على حرمة وحماية أعراض المسلمين، فلم يميلوا ولم يخونوا دينهم، بل ظلوا في نصرة ومعاونة إخوانهم. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة: صـ٨١، ٩٦.
- **مملكة البرتغال:** والتي تقع في غرب بلاد الأندلس، وهي من الممالك التي تعمل على طرد المسلمين من بلاد الأندلس، والسيطرة على أراضيهم بالتعاون مع غيرها كمملكة قشتالة، ومن ملوكها: الهونش بن دونيش ابن شانجة، والذي استمر الملك في نسله. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة: صـ٩٦، ١٢٦.

(٣) المقري (أحمد بن محمد المقري التلمساني ت ١٠٤١هـ= ١٦٣١م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨م: ج٦ صـ١٦٦،

الأمة الغريبة»[١]، ويصف أهل الأندلس في موضعٍ آخر فيقول: «بالأمم الغريبة»، «وطننا الغريب»[٢]، و«أنها بلدٌ محصورةٌ بين لحم أسد هصور»[٣]، «والقطر الوحيد المنقطع بين الأمم الظافرة والبحور الزاخرة، والمرام البعيدة»[٤]، «وإن المسلمين لا يبلغ من عدد الكفار عشر المعشار، ولا وبرة من جلود العشار»[٥]، ويقول: «وقد أصبحنا بدار غربة، ومحل روعة... ومظنة فتنة، والإسلام عدده قليل... وعهده بالإرفاد والإمداد من المسلمين بعيد، نناشدكم في بقية الرمق»[٦]، بل إنه ينصح أبناءه بأن لا يحصلوا على عقاراتٍ ثابتةٍ، وإنما ينفقون أموالهم في أشياء منقولة، يستطيعون نقلها معهم بسهولةٍ في حالة الغزو، حيث يقول المقري: «ومَنْ رُزِقَ منكم مالًا بهذا الوطن القلق المهاد، الذي لا يصلح لغير الجهاد، فلا يستهلكه أجمع في العقار، فيصبح عرضة للمذلّة، والاحتقار، وساعيًا لنفسه إن تغلب العدوّ على بلاده في الافتضاح، والافتقار، ومعوقًا عن الانتقال، أمام النّوب الثقال»[٧].

أما المقري فيصف الأندلس بأنها: «الوطن الذي أحاط به العدو والبحر»[٨].

والحقيقة أن لفظة «الغرباء» لا تصف فقط أحوال مسلمي الأندلس، الذين أصبحوا لا حول لهم ولا قوة، بل تصف أحوال الدِّين الإسلامي هناك، الذي أصبح غريبًا في أرض طغت عليها النصرانية، وأصبح الإسلام في الأندلس ينطبق عليه حديث الحبيب محمد ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى للغُرَبَاءِ»[٩].

ج١٠ صـ٢٥٩، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة ١٩٤٥م): ج١ صـ٣٣٤.

(١) المقري، نفح الطيب: ج٦ صـ١٨٦.

(٢) المقري، نفح الطيب: ج٦ صـ١٨٦.

(٣) المقري، نفح الطيب: ج١٠ صـ٢٣٧.

(٤) أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر: صـ٢١٣، (الإسكندرية ١٩٩٧م).

(٥) القلقشندي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ج٧ صـ٥١ (القاهرة ١٩١٣م).

(٦) المقري، نفح الطيب: ج٦ صـ١٤٦، ١٤٧.

(٧) المقري، نفح الطيب: ج١٠ صـ٢٥٩، أزهار الرياض: ج١ صـ٣٣٤.

(٨) نفح الطيب: ج١٠ صـ٣٤٣.

(٩) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه بشرح الإمام النووي، عن أبي هريرة في كتاب الإيمان، حديث رقم (١٤٦): ج١ صـ١٣١.

ولا ننسى أن غرناطة أصبحت محاطة بالأعداء من ثلاث دول هي: قشتالة، وأراجون، والبرتغال، هذا الأمر جعل الشعب الغرناطي يعيش في حالة خوف، رافعًا راية الاستعداد للقتال بشكل دائم، حتى في أيام الأعياد حاملين أسلحتهم معهم؛ لقربهم من أراضي العدو، وتعرضهم لغزواته في أي وقت[١]، وقد أشار ابن الخطيب إلى الإعداد الحربي للشباب في غرناطة بقوله: «والبروز إلى الفحوص –الوديان وأماكن التنزه– بأولادهم وعيالهم، معولين على شهامتهم وأسلحتهم على كثب عدوهم، واتصال أبصارهم بحدود أرضه»[٢].

٢– محاولة توحيد المغرب والأندلس مرة أخرى:

والحقيقة أن دولة بني مرين، سارت على سياسة أسلافها المرابطين[٣]، والموحدين[٤] التي تقوم على حماية الأندلس من أطماع جيرانها المسيحيين، وكانت تلبيتهم لدعوة إخوانهم وبني جلدتهم المسلمون في غرناطة فرضًا عليهم بعدما أصبح الغرناطيون محاصرين بالعدو، ويشعرون أن زوالهم عن بلادهم أصبح قاب قوسين أو أدنى، فاتجهت أنظارهم إلى تلك الدولة الفتية الجديدة التي خلفت دولة الموحدين، وورثت كل مشاكلها أيام انحطاطها، فصار لزامًا عليها المحافظة على ما بقي للمسلمين بالأندلس من حصون بعد أن شدد العدو غاراته عليها، فدوت صيحاتهم إلى سلاطين المغرب

---

(١) أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس: صـ٢١٤.

(٢) ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب ت ٧٧٦هـ)، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دار الآفاق الجديدة، بيروت– الطبعة الثالثة ١٩٨٠م): صـ٤٠.

(٣) **المرابطون:** ينسبون إلى رباط عبد الله بن ياسين، أحد فقهاء المالكية، والذي استطاع أن يقيم دعوته في بلاد صنهاجة، وظل هكذا حتى استطاع أحد أتباعه من قبيلة لمتونة وهو أبو بكر بن عمر، ومن بعده يوسف ابن تاشفين أن يقيم دولة المرابطين ببلاد المغرب والأندلس، وظلت باقية تدافع عن الإسلام والمسلمين ببلاد الأندلس، حتى سقطت على أيدي الموحدين سنة ٥٤١هـ. للمزيد انظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس: صـ١٠٧، وابن خلدون، العبر: جـ٦ صـ٢٣١، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ: جـ١ صـ٢١٦، أحمد العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس: صـ٣١٩، ٣٢٠.

(٤) **الموحدون:** أقام محمد بن تومرت دعوته في بلاد المصامدة، حتى استطاع أحد أتباعه وهو عبد المؤمن بن علي أن يقيم دولة الموحدين على أكتاف دولة المرابطين، وحملت راية الدفاع عن الإسلام ببلاد الأندلس ضد الممالك النصرانية، وظلت مسيطرة على بلاد المغرب والأندلس، حتى سقطت بعد موقعة العقاب سنة ٦١٠هـ، وأقام بنو مرين دولتهم على أنقاضها. انظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس: صـ١٦٥، ابن خلدون، العبر: جـ٦ صـ٢٥٠، السلاوي، الاستقصا: جـ٢ صـ٢٤٢، العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس: صـ٣٦٥، حركات، المغرب عبر التاريخ: جـ١ صـ٢٦٩– ٢٧٧.

لإنقاذهم[١]، خاصة وأن المسلمين قد فقدوا من عام (٦٢٢/٦٧٠هـ) (١٢٢٥/١٢٧١م) كثيرًا من المدن والمراكز المهمة بالأندلس كقرطبة[٢] عام (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م)، وجيان[٣] عام (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م)، وإشبيلية[٤] عام (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، وبلنسية[٥]، وتنازل ابن الأحمر[٦] للعدو عن كثير من المراكز التي كانت بيده عجزًا عن حمايتها، واحتفظ من أرض الأندلس بالجنوب الغربي متخذًا غرناطة عاصمة له[٧].

٣- تصاعد الاستغاثة والنجدة:

---

(١) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٢٥٢، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ: ج٢ صـ١٩.

(٢) **قرطبة**: مدينة عظيمة وسط الأندلس، وكانت عاصمة الخلافة الأموية، وتعتبر من أعظم بلاد الأندلس، ولها عدة أربطة، ويمر بها نهر عظيم، وعلى جانبي النهر يكثر بها القصور والمباني والمساجد، ومن أعظم مساجدها: المسجد الجامع، فليس في مساجد المسلمين مثله تنميقًا، وطولًا، وعرضًا، يكثر بها الزروع، والفاكهة، وأسواقها عامرة" للمزيد انظر ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، بيروت ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩: ج٤ صـ٣٢٤- ٣٢٥، الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله= =ابن عبد المنعم الحميري)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٨٣م: صـ١٥٣، ١٥٧.

(٣) **جيان**: مدينة كبيرة تقع شرق قرطبة، وبينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخًا، وهي كورة تجمع قرى وبلدان كثيرة. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٢ صـ١٩٥، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار: صـ٧٠، ٧١.

(٤) **إشبيلية**: إحدى مدن الأندلس الكبرى، كانت مقر بني عباد، وتقع غرب قرطبة وبينهما ثلاثون فرسخًا، ويكثر بها شجر الزيتون، وسائر الفواكه، كما يزرع بها القطن الذي يحمل لكافة أرجاء الأندلس والمغرب، وتقع إشبيلية على نهر عظيم تسير فيه المراكب، وعليه الكباري، وينسب إليها الكثير من العلماء. انظر :ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج١صـ١٩٥، الحميري، الروض المعطار :صـ١٨- ٢٢.

(٥) **بلنسية**: مدينة كبيرة تقع شرق الأندلس، بينها وبين قرطبة ستة عشر يومًا، وتشتهر بالأسواق، كما يكثر بها الزروع والثمار؛ نظرًا لكثرة الجداول والأنهار بها، وبها بساتين وجنات كثيرة؛ لذلك رخصت بها الأسعار. انظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق: ج١ صـ٤٩٠، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار: صـ٤٧، ٤٨.

(٦) **ابن الأحمر**: هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر بن قيس الخزرجي، سلطان الأندلس، نشأ بأرجونة، وكان شديد الحزم، تظاهر لأول أمره بطاعة السلاطين بالمغرب، وإفريقية، ثمَّ دعا للخليفة العباسي، ابتنى حصن الحمراء، وجلب له الماء وسكنه، وملأ خزائنه ودوره مالًا وسلاحًا، أعقب ثلاثة من الذكور محمد، ولي عهد وأمير المسلمين بعده، والأميرين فرجًا، ويوسف توفيا في حياته، وتوفي ٦٧١هـ/ ١٢٨٢م. للمزيد انظر ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٤٢- ٤٩.

(٧) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ: ج٢ صـ١٩.

لما كانت الأندلس على عهد الدولة المرينية، قد اقتصرت حدودها على مملكة غرناطة الإسلامية في جنوب شرق إسبانيا، وكان يحكمها ملوك بني الأحمر، أو بني نصر[١]، ولا شك أن مملكة صغيرة محاطة بالأعداء مثل مملكة غرناطة، كانت في حاجة إلى مساعدة جيرانها وإخوانها في الدين بالعدوة المغربية، ولقد استجاب سلاطين بني مرين إلى هذا النداء، وقادوا الجيوش، وأرسلوا الحملات عبر مضيق جبل طارق[٢] لمساعدة إخوانهم الغرناطيين من جهة، والاحتفاظ ببعض القواعد الجنوبية الأندلسية التي تضمن لهم السيطرة على مضيق جبل طارق من جهة أخرى[٣].

وأثناء ذلك أخذت رسل الأندلس ووفودها تتوالى على بني مرين بالمغرب، مطالبة بالمزيد من العون العسكري لصد الغارات المتكررة من النصارى، فأُلقيت في ذلك القصائد، وكتبت الرسائل، وكانت تلك القصائد، والخطب الحماسية تُلقى على المنابر بالمساجد، والساحات، وكانت قوية ومؤثرة، تبكي الحاضرين عند سماعها.

والحقيقة أنه منذ تأسيس غرناطة وأميرها لم يفتأ في إرسال الرسل لإخوانه بالعدوة المغربية يستنجدهم للقيام بدورهم، مثلما قام من قبلهم المرابطون والموحدون، في صد هجمات الصليبيين القادمين من مختلف بلدان أوروبا، المصممين على طرد ما بقي من العرب بالأندلس، وكان السلطان أبو يوسف يعقوب المريني[٤] متحمسًا للعبور إلى

---

(١) **بنو الأحمر**: يرتفع نسبهم إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج على عهد رسول الله ﷺ، أما تسميتهم ببني الأحمر: فنسبة إلى جدهم عقيل بن نصر، الذي لقب بالأحمر لشقرة فيه، وقد استمرَّ هذا اللون الأشقر يظهر في بعض أفراد هذه الأسرة مثل: محمد السادس، كما اتخذ ملوك غرناطة اللون الأحمر شعارًا لهم في قصورهم بالحمراء وأعلامهم، وقبابهم بل وفي لون الورق الذي يكتبون عليه رسائلهم. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة: صـ٤٠، ٤١، المقري: نفح الطيب: ج٥ صـ٤٩، ج٦ صـ١٦٢- ١٦٣، أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس: صـ٢٢٦- ٢٢٧.

(٢) **جبل طارق**: هو جبل قريب من الجزيرة الخضراء، خرج منه طارق بن زياد فسُمِّي باسمه، فافتتح بلاد الأندلس، بُني عليه مدينة كثيرة العمران، والماء، والأشجار، اختطها الموحدون في عهد عبد المؤمن ابن علي، وصارت مدينةً عامرةً، سميت بمدينة الفتح، كانت بوابةً لبلاد الأندلس. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة: صـ١٢١، الحميري، الروض المعطار: صـ١٢١، ١٢٢.

(٣) مصطفى أبو ضيف، أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصر الموحدين وبني مرين: صـ١٦٨، (إسكندرية ١٩٨٣م).

(٤) **هو**: أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، كان ملكًا صالحًا، سليم الصدر، مخفوض الجناح لقومه، أشبه بالشيوخ منه بالملوك في احتمال اللفظ، والإغضاء عن الجفوة والنداء بالكنية، وهو الذي استولى على ملك

الأندلس؛ للمشاركة في جهاد النصارى، ولكن لأسباب سياسية اضطر للعمل على توطيد الأمن بالمغرب الأقصى أولًا، لذلك اكتفى بإرسال فرق من المجاهدين من زناته يقودهم شيوخ من بني مرين(١).

وفي ذلك يقول ابن خلدون «ولم ينشب يعقوب بن عبد الحق أن قام بسلطان المغرب بعد أخيه أبي يحيى وشغل بشأنه. وأهمّه شأن ابن أخيه إدريس(٢) منهم في الجهاد بعد العدوة، فاغتنمها منه وعقد له من مطوعة زناتة على ثلاثة آلاف أو يزيدون. وأجاز معه الأمير موسى ابن رحّو وابن عمه عبد الله بن عبد الحق(٣)، ووصلوا إلى الأندلس سنة إحدى وستين وستمائة، فحسنت آثارهم في الجهاد وكرمت مقاماتهم»(٤)، ولإحساس ملوك المغرب بواجبهم تجاه الأندلس يقول ابن خلدون «فاجتمع أبناء الملوك بالمغرب الأوسط – من أبناء ملوك بني عبد الواد– مثل عبد الملك ويغمراسن بن زيان، وعامر بن منديل بن عبد الرحمن، وزيان بن محمد ابن عبد القوي فتعاهدوا على الإجازة إلى الأندلس إلى الجهاد، وأجازوا فيمن خفّ معهم من قومهم سنة ست وسبعين وستمائة، فامتلأت الأندلس بأفيال زناتة وأعياص(٥) الملك منهم»(١).

الموحدي، واجتث شجرتهم، وورث سلطانهم، اجتاز إلى بلاد الأندلس مرات غازيًا ومعاونًا إخوانه من المسلمين لردِّ عدوان النصارى عن بلادهم، وكانت علاقته حميمة بملوك غرناطة، كان ملك بني مرين في ذريته، تولى الحكم بعده ابنه السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب، توفي أبو يوسف يعقوب بالجزيرة الخضراء ٦٨٥هـ. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٥٤، ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٨٥.

(١) ابن خلدون، المقدمة– دار المعارف ١٩٥٣م: صـ٣٦٤.

(٢) **هو:** أبو عامر عثمان بن إدريس بن عبد الحق المريني، ويكنى أبا ثابت، كان جليلًا فذًّا في الكفاية والإدراك، عارفًا بلسان قومه، وأغراضهم، وأرسله السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني إلى الأندلس، ونزل= =طريف ومنها إلى غرناطة؛ للجهاد بها، ولكن وقع بينه وبين السلطان خلاف فرجع إلى المغرب، ونكب وجماعته بسبتة، وقبض عليه وأودع بسجن مكناسة. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة: ج٤ صـ٦٤– ٦٧، ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٨٥،.

(٣) **موسى بن رحو:** أجاز للأندلس عام ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م وقاد عدة حروب ضد نصارى الأندلس حيث قتل حاكم دُنة، ورجع للمغرب. انظر ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٨٨.

(٤) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٨٥– ٤٨٦.

(٥) **أعياص:** جمع عيص وهو منبت خبار الشجر، والشجر الكثير الملتف، والأصل، يقال: فلان من عيص بني هاشم أي: من أصلهم. إبراهيم مصطفى– أحمد الزيات– حامد عبد القادر– محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط: دار الدعوة: ج٢ صـ٦٤٠، والمعنى: أنهم يرجون انتقال الملك إليه من أصوله، أي: من آبائه، وأجداده.

واستقبل بنو الأحمر هؤلاء القادة بترحاب ومودة، وعقدوا لهم على قيادة الغزاة المجاهدين الوافدين للأندلس سواء بأنفسهم أو مع جيوش المغرب، وشغل الأمراء المرينيون وخاصة من بني عبد الحق هذه الوظيفة بطريقة تكاد تكون وراثية[٢].

٤- المصالح المشتركة:

وفي الحقيقة أن القواسم المشتركة التي كانت تجمع بين مسلمي الأندلس وإخوانهم من بني مرين كانت كثيرة ومتشعبة، فالإسلام يجمعهم، والمصير الذي ينتظرهم واحد، والعدو الذي يقاتلهم، جعلهم في خندق واحد، وعليه فقد استطاع بنو مرين وبنو الأحمر ملوك غرناطة، أن يصلوا إلى نتائج حسنة ومهمة للتعاون المشترك لرد الخطر النصراني القادم من مملكة قشتالة وغيرها[٣]، ولذلك رأت القيادتان المرينية والغرناطية ضرورة وضع قوات من المجاهدين في الأندلس للإقامة في العاصمة غرناطة[٤]، فظهر ما يعرف في تاريخ الأندلس لشيوخ الغزاة المجاهدين، وفي ذلك يقول ابن خلدون «والمطوعة من قبائل المغرب وتولي هؤلاء موسى بن رحو وابن عمه عبد الله بن عبد الحق، ووصلوا إلى الأندلس (٦٦١هـ/ ١٢٦٢م)، وكما انتقل إلى الأندلس للانضمام إلى المجاهدين من أبناء ملوك المغرب الأوسط مثل عبد الملك ويغمراسن بن زيان بن محمد بن عبد القوي، فتعاقدوا على الإجازة إلى الأندلس إلى الجهاد، وأجازوا فيمن خفّ معهم من قومهم سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، فامتلأت الأندلس بأفيال زناتة وأعياص الملك منهم. وكان فيمن أجاز من أعياصهم بنو عيسى بن يحيى بن وسنان بن عبّو ابن أبي بكر بن حمامة. ومنهم سليمان وإبراهيم وكانت لهما آثار في الجهاد ومقامات محمودة»[٥].

والحقيقة أن الوصول إلى منصب شيخ المجاهدين والغزاة لم يكن متاحًا لأي قائد فقد كانت له شروط ومؤهلات رئيسية لابد أن تتوافر في من يتولى هذا المنصب، فلا بُدَّ أن يكون من العدوة المغربية بل لابد وأن ينتسب إلى بني عبد الحق أقارب بني مرين، لأنهم

---

(١) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٨٦.

(٢) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٨٧.

(٣) عمر سعيدان، العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي وسقوط غرناطة: صـ٤٣، (تونس ٢٠٠٣).

(٤) أحمد مختار العبادي، فترة مضطربة في تاريخ غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية: صـ٤٨ (مدريد، م٢٨، ١٧، ١٩٥٩، ١٩٦٠).

(٥) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٨٦.

كما يقول ابن خلدون: «يعسوب زناتة»[1]، وقد تزعم بنو العلاء (من أقارب السلطان المريني) قيادة المشيخة، وهو منصب عسكري، وكان ممَّن تولى رياسة المشيخة عبد الله بن أبي العلاء حتى استشهد سنة (٦٩٣هـ)، فكانت لأخيه أبي سعيد عثمان بن العلاء[2][3]، وعن هذه المشيخة يذكر المقَّري في نفح الطيب أنه «لم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الأندلس بالمال والرجال، وتركوا منهم حصة معتبرة من أقارب السلطان بالأندلس غزاة، فكانت لهم وقائع في العدو مذكورة، ومواقف مشكورة، وكان عند ابن الأحمر منهم جماعة بغرناطة، وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة»[4].

كما أنه لابد له أن يتمتع بالقوة والمهارة والكفاءة العسكرية، أضف إلى ذلك الحزم والدهاء حتى يتعامل مع الوضع الشائك في الأندلس والصراع مع النصارى، وهو على دراية ووعي تامٍّ بما يتطلبه الموقف آنذاك.

ولقد تمتع شيوخ المجاهدين والمتطوعة بمكانة كبيرة جدًا لدى العامة والخاصة على حد سواء للدور العسكري الكبير الذي يقومون به في الدفاع عن الأندلس، والجهاد ضد النصارى هناك، وكان المقرُّ الرئيسي لمشيخة الغزاة في غرناطة، بالإضافة إلى عدة مقرات

---

(١) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٥٣.

(٢) **هو**: الشيخ أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق المريني، ولد بعد عام ٦٥٠هـ، نشأ محبًّا للجد والجهاد، فاق في الفروسية، تقدم على الجيوش إلى أن تولى رئاسة وقيادة المجاهدين بالأندلس، بل وتولى قيادة جيوش بني الأحمر، كان كبير بيته لباب قومه، علت هذه المرتبة ومنزلة شيخ المجاهدين لما تولاها، نبهت به فكان يطلق عليه الشيخ البُهمة الفارس الذي لا يدري من أين يؤتى له من شدة بأسه، قاد كثيرًا من المعارك ضد النصارى؛ دفاعًا عن الإسلام والمسلمين حتى استشهد سنة ٧٢٩هـ، وتولى أبناؤه من بعده رئاسة المجاهدين حتى أسقطها وألغاها السلطان الغني بالله ابن الأحمر سنة ٧٧٦هـ. انظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٨٠ وما بعدها، ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٩٣، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، صححه: عبد الوارث محمد علي- بيروت ١٩٩٧م: ج٢ صـ٢٦٥.

(٣) انظر: عبد الرحمن علي الحجي (التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة)، دمشق ١٤١٥هـ= ١٩٩٤م: صـ٥٤٠.

(٤) المقري، نفح الطيب: ج٤ صـ٣٨٥.

أخرى فرعية تنتشر في بقية ما تبقى من الأندلس، لا سيَّما المناطق الحدودية لنصارى الأندلس في مالقة[١]، والمرية[٢]، ووادي آش[٣][٤].

كما كان شيوخ المجاهدين يتمتَّعون بسلطات واسعة تحت سيطرة سلطان غرناطة، وغالبًا ما كانت هذه السلطات عسكرية جهادية، وكان بمثابة القائد العسكري الأعلى للقوات المرابطة، والمجاهدة، وإليه تسند قيادة ورئاسة جميع القبائل المغربية في الأندلس، ويعتبر نائبًا للسلطان فيما يقع تحت إمرته من بلاد، وعباد[٥]، وازداد نفوذ شيوخ المجاهدين حتى وصل بهم الأمر القيام بعزل وتعيين ملوك بني الأحمر، كما حدث مع السلطان أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م، وتولية ابنه الصبي أبي الحجاج يوسف بن محمد بن إسماعيل سنة ٧٣٣هـ بمساعدة الوزير ابن المحروق[٦][١].

---

(١) **مالقة:** مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية، سورها على شاطئ البحر، وتقع بين الجزيرة الخضراء والمرية، وتقع على ساحل البحر المتوسط؛ لذلك يقصدها التجار، فتضاعفت عمارتها، وينسب إليها الكثير من العلماء. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٥ صـ٤٣، الحميري، الروض المعطار: صـ١٧٧.

(٢) **المرية:** مدينة كبيرة من أعمال كورة البيرة من الأندلس، وتقع على ساحل البحر المتوسط، ومنها يركب التجار إلى الآفاق، ويعمل بها الوشي والديباج الذي يصدر إلى كافة بلدان العالم، ومينائها يشحن بالسفن لغزو الإفرنج، وعليها سور حصين منيع بناه أمير المؤمنين عبد الرحمن المرابطي، ويمر بها وادي بجانة يعم بالسقي بساتين المرية، ويحدها البحر من الجهة القبلية، وبقصبتها حصن منيع يمتدُّ من الشرق للغرب، وله باب قبلي يفضي للمدينة، ويقصد المرية مراكب التجار من الإسكندرية، والشام، ولم يكن بالأندلس أكثر من أهلها مالًا، ويحاط بالمدينة سور، ولها عدة أبواب، وفيها ألف فندق إلا ثلاثين. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق: ج٥ صـ١١٩، والحميري، الروض المعطار: صـ١٨٢- ١٨٣.

(٣) **وادي آش:** مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة، كبيرة تحوطها المياه من النهر النابع من جبل شلير، وعليه أرحاء، ويكثر بها زراعة التوت، والعنب، والزيتون، وأصناف أخرى، وبها حمامات، وعليها سور. انظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار: صـ١٩٢.

(٤) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٢٧، العبر: ج٧ صـ٤٥٣.

(٥) لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي- القاهرة ١٩٨٠م، الطبعة الأولى: ج٢ صـ٦٩.

(٦) **هو:** محمد بن أحمد بن محمد الأسعردي المعروف بابن المحروق، ولد عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م، ونشأ محبًّا محبًّا للفضائل، وترقى في المناصب إلى أن تولى الوزارة في دولة محمد بن أبي الوليد، وأخذ في إبعاد كبار الدولة مثل: عثمان بن أبي العلاء، الذي خرج من غرناطة إلى أندرش، وساءت العلاقة بينهما إلى

كما أن شيوخ المجاهدين بغرناطة تمتَّعوا بمركزٍ أدبيٍّ مرموقٍ، بالإضافة إلى الوضع المالي، فقد نالوا الكثير من الحظوة لدى سلاطينها، وكان لهم جزء كبير من الضرائب[٢]، وفي عهد أبي عبد الله محمد الخامس الغني بالله[٣]، زيدت مرتبات الجنود الزناتيين التي كانت تدفع مقدمًا، كما زيد نصيبهم من الغنائم[٤]، وأكثر لهم من الجباية في الأعطية، والأرزاق[٥]، كذلك كان السلطان يختصهم في عطائهم «بالعولة وهي أقواتهم وعلوفاتهم من الزّروع»[٦]، كما كانت لهم ضاحية في غرناطة تسمَّى [Zenith] كان الزناتيون يقيمون فيها في عهد بني نصر[٧]، كما كان لشيخ المجاهدين كتَّاب يكتبون عنه الرسائل والكتب التي ترسل إلى سلاطين بني مرين، وبني الأحمر منهم: علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي توفي ٧٤٩هـ، الذي كتب عن شيخ المجاهدين أبي زكريا يحيى بن عمر بن رحو على عهده[٨]، وكذلك عبد الله بن عبد الملك بن سوار المحاربي الذي كان كاتبًا للمجاهدين منوهًا به مشهورًا[٩].

اقدم محمد بن أبي الوليد لقتل وزيره عام ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م. للمزيد انظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة: ج٣ صـ٢٢١.

(١) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٩٣.

(٢) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣٧٧.

(٣) **هو**: الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج، تولى الحكم بعد مقتل أبيه عام ٧٥٥هـ، كان حسن الصورة، سليم الصدر، صحيح الاعتقاد، اشتمل على خلالٍ وأوصاف قل أن تجتمع في سواه من ملوك بني الأحمر، متحلي بالوقار، والسكينة، شجاعًا محبًّا للجهاد والغزو، جوادًا كريمًا، كان على صلةٍ طيبةٍ بملوك المغرب إلا في بعض الأوقات، أحبته رعيته، خلع من الحكم سنة ٧٦٠هـ، ثمَّ عيِّن مرةً ثانيةً سنة ٧٦٣هـ، تلقب بالغني بالله، كان له من الولد يوسف سمَّاه على اسم أبيه، خدمه الوزير لسان الدين بن الخطيب فكان عنده مسموع الكلمة والرأي، كان ثامن ملوك بني الأحمر، ظل في الحكم إلى أن مات عام ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة: صـ١١٤، ١١٥، محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين- (القاهرة ١٩٦٦): صـ١٣٩.

(٤) المقري، نفح الطيب: ج٧ صـ٧، ج٩ صـ٥٤.

(٥) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٥٠٠.

(٦) ابن خلدون، المقدمة، دار المعارف ١٩٥٣م: صـ٣٦٤.

(٧) أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس: صـ٢٢٦.

(٨) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة: ج٤ صـ١٢٢- ١٤٧.

(٩) أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس: صـ٢٢٦.

أما عن تشكيل هؤلاء المتطوعة والأسلحة التي كانوا يستخدمونها فقد اتسمت بنفس الصفات التي كانت في الجيش المريني، والغرناطي، واستعملت نفس العدة أيضًا، يقول ابن الخطيب عن الأسلحة التي كانوا يستخدمونها: «وسلاح جمهورهم العصي الطويلة المثناة بعصي صغار ذات عرى في أوساطها، تدفع بالأنامل عند قذفها تسمى بالأمداس»(١).

ويقول: «يرجع أمرهم إلى رئيس على رؤسائهم، وقطب لعرفائهم من كبار القبائل المرينية يمتُّ إلى ملك المغرب بنسب»(٢).

وكانت الكتائب مكونة من مشاةٍ، وفرسان، كما كانت تتكون من عدد من القبائل، منها غمارة الزناتية(٣)، والتيجانية، والمغراوية(٤)، والعجيسية(٥)، والعرب المغربية(٦)، والقبائل

---

(١) ابن الخطيب، اللمحة: صـ٣٩.

(٢) ابن الخطيب، اللمحة: صـ٣٩.

(٣) **غمارة:** من أشهر شعوب البربر وقبائلهم، سموا بهذا الاسم نسبة لوالدهم غمار بن مصمود، وقيل: غمار ابن سطاف بن مليل بن مصمود، وتزعم العامة أنهم عرب غمروا في الجبال، فسموا غمارة، وهو مذهب عامي، تمتد مواطنهم على ساحل البحر المتوسط من حد بلاد الريف إلى المحيط الأطلسي، ثم حدثت تغيرات كثيرة في مساكنهم عندما غمرت القبائل الهلالية المغرب، فاستقروا جنوب شرق تطوان على ساحل البحر المتوسط. انظر: عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، (الرباط ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م): صـ٣٢٥- ٣٢٦.

(٤) **مغراوة:** فرع من زناتة، استقرت في مكناسة، ثم طردوا منها على يد قوم ينتمون إلى قبيلة صنهاجة، ويعرفون بلمتونة، وتفرق شمل مغراوة، إلى أن ظهر منهم بني مرين التي استولت على الحكم، واتخذت فاس عاصمة لها. انظر: الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد زنبير، (بيروت ١٩٨٣م): ج١ صـ٣٧- ٣٨.

(٥) **عجيسة:** من بني برنس، وهم من أحد البطون البربرية، وسكن أغلب بطونها بالمغرب الأوسط بجوار صنهاجة في جبل قلعة بني حماد، وهاجرت بعض بطون هذه القبيلة عندما قدم العرب، والباقي يقيم جنوب بجاية. انظر: عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب: صـ٣٣٦.

(٦) **القبائل العربية:** هي قبائل سيفان، والخلط، والعاصم، وابن جابر من بطون جثم من الأثبج، وذوي حسان والشبانات من عرب المعقل، وقبائل رياح وغيرهم. انظر: مصطفى أبو ضيف، أثر العرب في تاريخ المغرب: صـ١٦٨.

المرينية[١]، وكانوا غالبًا فرسانًا، اشتهروا بشجاعتهم، كما اشتهروا بالنظام، والتكتيك الحربي الخاص بهم عرف باسم قبيلتهم زناتة، وذاع هذا النظام الحربي في بلاد الأندلس الإسلامية والمسيحية على حدٍّ سواء، ولقد اتخذ ملوك قشتالة إلى جانب فرقهم الثقيلة المدرعة بالحديد فرقًا خاصة من الفرسان يحاربون على طريقة الفرسان الزناتيين الخفيفة الحركة ذات الدروع الجلدية والركاب المرتفع، وطريقة الكرِّ والفرِّ في القتال، وأطلقوا عليهم اسم [Genets] ويلاحظ أن الاسم مشتق من لفظ [Zeniths] أي زناته، ولا يزال لفظ [Genets] مستعملًا إلى اليوم في اللغة الأسبانية بمعنى فارس[٢]، كما أن ابن الخطيب يمتدح فروسية الأمير فرج بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بكونه زناتي الشكل، والركض، والآلة، وعروس الميدان[٣].

بل تمتَّعت هذه الطائفة وزعماؤها بمنزلةٍ عاليةٍ، وبمكانةٍ أدبية مرموقةٍ لدى الكتاب والمفكرين خلال هذا العصر يدل على ذلك ما ذكره ابن الخطيب في كتابه «اللمحة البدرية» أنه كلما ذكر سلطانًا من سلاطين بني الأحمر يترجم له، فيذكر كيف تولى، وأهم أعماله، وفتوحاته، وجهاده، ومَنْ كان على عهده من الملوك والسلاطين والأمراء الذين عاصروه من المسلمين والنصارى، ووزرائه، وكتابه، وقضاته، ثمَّ يقول: ورئيس جنده المغربي، أو يقول: وشيخ المجاهدين من المغاربة، أو شيخ الغزاة على عهده[٤].

وهذا ممَّا لا شكَّ فيه يدل على ما وصل إليه شيوخ المجاهدين من المتطوعة والغزاة المغاربة من المنزلة والمكانة العالية لدى ملوك وسلاطين بني الأحمر وغيرهم.

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة: ج١ صـ١٣٦.

(٢) ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، (القاهرة د.ت): صـ١٧.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة: ج٤ صـ٢٤٦.

(٤) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٣٩.

المبحث الأول

شيوخ المجاهدين ودورهم الجهادي

كان المقر الرئيسي لقيادة شيوخ المجاهدين في غرناطة، وتتفرع عنه قيادات فرعية أخرى في وادي آش، ورُندة[١]، ومالقة، وذكوان، وقمارش، وحصن قشتال، وحصن علودان[٢]، هذا التواجد لقيادة شيوخ المجاهدين بأغلب مدن الأندلس يؤكِّد على تواجدهم في كل معركة تدور رحاها على أرض الأندلس، فمن هذه المعارك التي كان لشيوخ المجاهدين الدور الفعال فيها موقعة أستجة[٣] يوم السبت ١٥ ربيع الأول عام ٦٧٤هـ/ ٧ سبتمبر ١٢٧٥م، حيث كان لهم نصيب كبير في الدفاع عن الإسلام عندما نادى أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني في المجاهدين من جنده، ويقدم ابن أبي زرع صورة للواقع، فيقول: «يا معشر المسلمين وعصابة المجاهدين إن هذا يوم عظيم، ومشهد جسيم»، وكان لهذا النداء أكبر الأثر على المسلمين خاصة شيوخ المجاهدين، فارتفعت أصواتهم بالتكبير، وبدأ القتال، والتقى الجمعان، ولم تلبث أن هبت ريح النصر، ودارت الدائرة على النصارى، ولم يتمهل القائد النصراني حتى تصله التعزيزات، حيث أصرَّ على مواقعة المسلمين فورًا[٤]؛ فكانت النتيجة أن انتصر المسلمون، وقد اشترك في هذه المعركة

---

(١) **رُندة:** مدينة قديمة بها آثار كثيرة، وتقع على نهرٍ جارٍ، وبها زروع، وقيل: حصن بين إشبيلية ومالقة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٣ صـ٧٣- ٧٤، الحميري، الروض المعطار: صـ٧٩.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة: ج٤ صـ٦٧، اللمحة البدرية: صـ٥٧، ٩٣، ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٨٦، ٥٠٢، ٢٥٤.

(٣) **أستجة:** هي مدينة قديمة تقع جنوبي غرب قرطبة على نهر شنبل فرع الوادي الكبير، عليها سورين، أحدهما: صخر ابيض، والثاني: صخر أحمر بأجمل صنعة، وردم بينهما، وبالسور أربعة أبواب، وقريبة من البحر، ولها عدة أرباض، وأسواق عامرة، وفنادق، وتكثر بها البساتين، والزروع. للمزيد انظر: ابن الخطيب، ريحانة الكتاب: ج١ هامش ١٣٢، حاشية المحقق محمد عنان، الحميري، الروض المعطار: صـ١٤، ١٥.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس: صـ٣١٧.

الكثير من المجاهدين والمتطوعة، وكان على رأسهم شيخ المجاهدين موسى بن رحو[١]، ومقابل جهادهم وبلائهم في هذه الموقعة، زاد السلطان من أنصبتهم من الغنائم[٢].

ومن آثار هذا الانتصار عقد صلح أقره كل من سلطان المغرب، وملك غرناطة الذي كان لشيوخ المجاهدين النصيب الأكبر فيه، ورجع أبو يوسف إلى المغرب معتمدًا على شيوخ المجاهدين والمغاربة المتطوعة في الاحتفاظ بهذا النصر، وفي ذلك يقول كمال شبانة: «وكان من نتائج –التفاهم المغربي الأندلسي– أن خلف سلطان المغرب من ورائه ببلاط غرناطة بعض مشاهير القواد من شيوخ المجاهدين»[٣].

وكان على رأس هؤلاء الشيوخ موسى بن رحو، ولما توفي عام ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م تولى بعده ابنه عبد الحق بن موسى بن رحو، الذي شارك في حملة مالقة مع أبي محمد عبد الله بن الحسن بن أشقليولة، الذي ضعف أمره فطلب من السلطان يعقوب بن عبد الحق عام ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م أن يتسلم منه مالقة قائلًا: «إني عجزت عن ضبطها، فإن لم تصل إليها وتضبطها من يدي أعطيتها للروم، ولا يتملكها ابن الأحمر أبدًا»[٤]، وقد قبل منه السلطان يعقوب عرضه بعد تردد، وذلك خشية تسلم النصارى لها، معتزمًا على إرجاعها إلى ابن الأحمر بعد هدوء الحالة، وعقد عليها لابنه أبي زيان منديل حيث رحل إليها، ودخل قصبتها، في أواخر رمضان عام ٦٧٦هـ/ مارس ١٢٧٨م، وتلقاه أهلها بفرحٍ عظيمٍ، يقول ابن خلدون: «وأقام فيهم إلى خاتم سنته، ثم عقد عليها لعمر بن يحيى بن محلى من صنائع دولتهم، وأنزل معه المالح وزيان بن أبي عيّاد بن عبد الحق في طائفة من أبطال بني مرين... وارتحل إلى الجزيرة»[٥].

وكان شيخ المجاهدين في هذه الحادثة زيان بن أبي عياد[٦]، القائم على حماية مالقة من أي غزو صليبي لها، خاصة وأن الأمور كانت هادئة بعد عقد الصلح بين أبي يوسف والفونسو العاشر عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م، ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، حيث مات الفونسو عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م، يقول ابن الخطيب: «وقد فسد ما بين ابن سلطان

---

(١) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٨٧.

(٢) المقري: نفح الطيب: ج٧ صـ٧، ج٩ صـ٥٤.

(٣) كمال شبانة، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ٧٣٣– ٧٥٥هـ، (القاهرة ١٩٦٩م): صـ٢٩.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس: صـ٣٢٨.

(٥) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٢٦٢.

(٦) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٨٨.

الروم وبين الملك»[١]، فتجددت الحرب بين أبي يوسف والأسبان؛ نظرًا لنقض شانجة اتفاق والده مع أبي يوسف يعقوب المريني، فقرر الأخير عبور الأندلس لمواصلة حركة الجهاد، وتمكن أبو يوسف من العبور إلى الأندلس في ٥ صفر ٦٨٤هـ ١٢ أبريل ١٢٨٥م، ومعه الكثير من الجند، وعلى رأسهم فرق المتطوعة والتي بلغ عددهما ألفين[٢]، ونزل طريف[٣]، ومنها سار إلى الجزيرة الخضراء[٤]، فأقام بها أيامًا استعد خلالها لغزو قشتالة، وأثناء ذلك وافاه المدد من غرناطة، ومن عساكر شيوخ المجاهدين، وقائدهم يعلى بن أبي عياد بن عبد الحق بوادي وبذة[٥]، فلاقاهم بالبر والتكريم[٦]، ووصل عدد جنود أبي يوسف إلى ما يزيد على عشرين ألفًا.

تمكَّن أبو يوسف يعقوب من اقتحام قرمونة[٧]، وأرسل كتائب أخرى لمحاصرة شريش[٨]، شريش[٨]، وكان الوقت آنذاك موسم الحصاد، فأمر جنوده بحصاد الزرع ونقله إلى معسكراتهم.

---

(١) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٥٧.

(٢) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٢٧٤.

(٣) **طريف:** جزيرة على البحر المتوسط على مدخل جبل طارق، ويتصل غربها بالمحيط الأطلنطي، وهي مدينة صغيرة عليها سور، ويشقها نهرٌ صغيرٌ، وبها عدة أسواق، وفنادق، وحمامات، ومن جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلًا. انظر الحميري، الروض المعطار: صـ١٢٧.

(٤) **الجزيرة الخضراء:** تقام على ربوة مشرفة على البحر المتوسط، ويحيطها سور، وخندق يحاط بها ما عدا جهة البحر، وهي منيعة حصينة، بالجزيرة جامع حسن البناء يقع في وسط الجزيرة، وأسواقها دائمة، وبها دار صناعة السفن، والأسلحة، وبغربي الجزيرة عدة بساتين، وميناء لرسو السفن، حيث تدخل ميناءها السفن من بر العدوة وخلافه، وبالجزيرة قلاع وحصون. للمزيد انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٢ صـ١٣٦، الحميري، الروض المعطار: صـ٧٣- ٧٥.

(٥) **وادي وبذة:** مدينة بالأندلس حصن على وادٍ بقرب أقليش، كثيرة المياه، والخضر، والفواكه، ماؤها لعلاج علة الحصى، وبها كثير من الأرجاء، ويقام على جانبي النهر عدة قرى، ويزرع بها عدة أنواع من المحاصيل. انظر: الحميري، الروض المعطار: صـ١٩٤.

(٦) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٢٧٥.

(٧) **قرمونة:** مدينة بالأندلس في شرق إشبيلية، بينها وبيت أستجة خمسة واربعون ميلًا، وهي مدينة كبيرة عليها عليها سور حصين ارتفاعه ثلاثة وأربعون ذراعًا، وعلى السور أبراج، ينصب على السور العرادات عند القتال، والسور به عدة أبواب، وبقرمونة جامعٌ كبيرٌ، وسوقها جامعة يعقد يوم الخميس، وبها حمامات، ودار لصناعة السلاح، وبينها وبين إشبيلية عشرون ميلًا. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٤ صـ٣٣٠، الحميري، الروض المعطار: صـ١٥٩، ١٦٠.

(٨) **شريش:** بلدة من كورة شذونة بالأندلس، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلًا، وهي على مقربة من البحر، وتكثر بها الزروع، وبالقرب منها حسن روطة على شاطئ البحر المتوسط، بينهما ستة اميال، والحصن موضع رباط ومقر للصالحين –المجاهدين– يقصد إليها من الأقطار الأخرى، وشريش مدينة متوسطة حصينة حسنة الجهات. للمزيد انظر: الحميري، الروض المعطار: صـ١٠٢.

ويقول ابن أبي زرع: «لم يبق في المحلة دابة إلا جاءت موفورة بالقمح والشعير»[١]، وانتشر جيش المسلمين لمحاصرة بقية الحصون للتضييق على القشتاليين حتى خضع شانجة للسلم، وقبل جميع الشروط[٢].

يقول ابن الخطيب: «وعلى أيدي الفئة القليلة من المسلمين -يقصد المجاهدين والمتطوعة- عظم النصر، وأسفر الليل، وانجلت الشدة»[٣].

وتمر الأحداث وفي سنة ٦٩٣هـ قام السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المريني[٤] بحملة مؤلفة من خمسة آلاف جندي بقيادة وزيره عمر بن أبي السعود الجشمي لحصار مدينة طريف واسترجاعها من القشتاليين، وتخلف السلطان محمد بن الأحمر الملقب بالفقيه[٥] عن المشاركة في حصارها؛ متعللًا بمرض أصابه[٦]، وأرسل عددًا قليلًا من الجند الجند بقيادة أحد أبنائه، وعقد لعبد الله بن أبي العلاء على جند زناتة لمعاونة السلطان،

---

(١) ابن أبي زرع: روض القرطاس: صـ٣٤١.

(٢) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٢٧٧، شارل أندريه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد مزالي، البشير ابن سلامة، (تونس ١٩٧٨م): صـ٢٢٣.

(٣) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٥٨.

(٤) **هو**: أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، تولى الملك بعد وفاة أبيه ٦٨٥هـ، وكان ملكًا رفيع القدر، مرهوب الجانب، وطد أركان الدولة المرينية، وقضى على الفتن والثورات، واستأصل من تبقى شوكته من أقاربه فخافه الجميع، وحمل لواء الدفاع عن الإسلام والمسلمين في بلاد الأندلس، فجاز في قواته مرات عديدة ينازل فيها النصارى، حتى اضطرهم إلى مصالحته وطلب السلم منه، واستتب أمر المغرب في حياته، وظلت دولة بني مرين مرهوبة الجانب في حياته هكذا حتى مات سنة ٧٠٦هـ، وهو محاصر لمدينة تلمسان. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة صـ٦٤، ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣٤٦.

(٥) **هو**: محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ويكنى بالفقيه، ولد بغرناطة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م، ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة، حيث استطاع إخماد الكثير من الفتن والثورات؛ مما ذاع صيته بين الملوك كما قام بعدة حملات ضد النصارى، وانتصر فيها بمساعدة بني مرين، فتح مدينة قيجاطة، وأسكنها جيشًا من المسلمين، وطائفة من المجاهدين من المتطوعة، كما فتح مدينة القيذاق، وهدم جزءًا من أسوارها، وأسكن فيها رابطة من المسلمين المتطوعة، وباشر العمل بنفسه. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة: صـ٨٠-٥٨، ابن الخطيب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، نشره ليفي بروفنسال، بيروت ١٩٥٦م: ج٢ صـ٢٩٠.

(٦) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٦٠، ٦١.

فنازلها السلطان يوسف، وامتنعت عليه فرحل عنها بعد معارك ضارية، راح ضحيتها شيخ المجاهدين عبد الله بن أبي العلاء ٦٩٣هـ/١٢٩٣م(١).

وتمضي الأحداث ويتوفى السلطان محمد بن محمد بن يوسف الملقَّب بالفقيه عام ٧٠١هـ/ ١٣٠١م، ويتولى بعده ابنه السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف(٢)، والذي قام بإسناد قيادة مشيخة المجاهدين لعثمان بن أبي العلاء على حامية مالقة وغربيها(٣)؛ نظرًا للدور الذي قام به في حياة أخيه عبد الله بن أبي العلاء، وقد ارتفعت مكانة شيوخ المجاهدين في عهده؛ للدور الكبير الذي قاموا به في جهاد النصارى.

وكان عثمان بن أبي العلاء حيث أجاز من بلاد المغرب مع باقي العائلة عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م ومع أولاد أبي يحيى بن عبد الحق، وأولاد عثمان بن عبد الحق، واستقروا بالأندلس بعد فشله في الاستيلاء على سبتة، يقول السلاوي: «وَلما رأى عُثْمَان بن أبي الْعَلَاء ذَلِك سقط فِي يَده وأيس من الْمغرب، فَعبر الْبَحْر فِيمَن مَعَه من الْقَرَابَة إِلَى الأندلس، وَولي مشيخة الْغُزَاة بهَا، فَكَانَت لَهُ فِي جِهَاد الْعَدو الْيَد الْبَيْضَاء»(٤)، حيث بدأ الدور الذي ينتظر أبناء أبي العلاء في إدارة حركة الجهاد خصوصًا وأن عثمان بن أبي العلاء قد تولى قيادة الجيش الغرناطي(٥).

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة: ج٧ صـ١٦، ٣٨، اللمحة البدرية: صـ٦٠، ٦١، عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دمشق ١٤١٥هـ= ١٩٩٤م: صـ٥٤٠، محمد عنان، نهاية الأندلس: صـ١٠٧.

(٢) **هو**: محمد بن محمد بن محمد بن يوسف ويكنى أبا عبد الله، كان من أعظم سلاطين بني الأحمر، حيث تدرب في الحكم في حياة أبيه، وكان أديبًا يقرض الشعر، ومجلسه لا يخلو من الأدباء، والعلماء، له باعٌ طويلٌ في جهاد الممالك النصرانية، كما كان له فضل كبير على العمارة، حيث بنى المسجد الأعظم بالحمراء بغرناطة، ولم يستمر الوضع كثيرًا، لكن سرعان ما وقعت بغرناطة اضطرابات أدَت إلى خلع أبي عبد الله محمد المخلوع عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م، وقبض عليه، ومعه وزيره ونفي إلى مدينة المنكب، واستمرَّ بها خمسة أعوام، ورجع بعدها إلى غرناطة إلى أن توفي عام ٧١٣هـ/ ١٣١٤م، وتولى غرناطة بعده أخوه نصر بن محمد الملقب أبو الجيوش. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية، صـ٦٠- ٧٠.

(٣) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٩١، محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس: صـ١٠٧- ١٠٨.

(٤) السلاوي، الاستقصا: ج٣ صـ٩٧- ٩٨.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة: ج٣ صـ٥٣٧، كمال شبانة، مرجع سبق ذكره: صـ٤٥، عمر سعيدان، مرجع سبق ذكره: ج١ صـ٤٣.

ولم تمضِ حياة السلطان أبي عبد الله محمد بن الأحمر على ما يرام، يقول ابن الخطيب: «وقد كان الدهر ضايقه في حصة الصحة، ونغصه ملاذ الملك بزمانة سدكت بعينيه لمواصلة السهر»، ويقول عنه: «مصاب بعينيه مقعد في كفه»[(١)]؛ مما جعل وزيره أبا عبد الله محمد بن الحكم اللخمي يجحر عليه؛ لعدم حسن تدبيره للأمور إلى جانب أنه عقد معاهدة صلح مع ملك قشتالة؛ مما أسخط عليه ملك المغرب السلطان يوسف بن يعقوب، ففسدت العلاقات بينهما؛ لذلك قام محمد بن الأحمر سلطان غرناطة بالتدخل في شئون مدينة سبتة، فأراد السيطرة عليها، وكانت تابعةً لبني مرين، وقد ساعده بعض أفراد من أسرة العزفي حكامها، وقد حاول الرئيس أبو طالب بن أبي العباس العزفي حاكمها من قبل بني مرين الدفاع عنها، ولكن انتهى الأمر باحتلالها، ووقعت في يد ابن الأحمر بمساعدة عثمان بن أبي العلاء شيخ المجاهدين ٧٠٥هـ؛ مما أسخط سلطان بني مرين عليه، والذي حمل عثمان بن أبي العلاء أن يقدم على هذا هو الخلاف الذي كان بين عثمان وأبناء عمومته ملوك بني مرين؛ لمطالبته بحقه في ملك بلاد المغرب[(٢)].

ولم يستمر الوضع طويلًا في غرناطة، ولكن سرعان ما وقعت الاضطرابات التي أدَّت إلى خلع السلطان أبي عبد الله محمد بن الأحمر عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م، وقبض عليه ومعه وزيره، ونفي إلى مدينة المنكب[(٣)].

وتولى بعده أخوه نصر بن محمد الملقب «أبو الجيوش»[(٤)]، حكم غرناطة سنة ٧٠٨هـ، فاستغلت قشتالة هذه الأوضاع المضطربة وقامت في ٢٩ صفر عام ٧٠٩هـ/ ٢١ يوليو ١٣٠٩م بحصار الجزيرة الخضراء، ولم تبرحها إلا بعد أن تعهد السلطان نصر بن محمد أبو

---

(١) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٦٠، ٦٣.

(٢) ابن الخطيب، اللمحة: صـ٦٦.

(٣) **المنكب:** مرسى بالأندلس على البحر المتوسط، ويمر بها نهر يرمي في البحر، وعلى المرسى حصنٌ كبيرٌ، والمنكب مدينة حسنة متوسطة يكثر بها صيد الأسماك، كما يزرع بها عدة أنواع من الفواكه، والأشجار، وبها أسواق، وجامع حسن البناء. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٥ صـ٢١٦، الحميري، الروض المعطار: صـ١٨٦.

(٤) **هو:** نصر بن محمد بن محمد بن نصر، ويكنى أبا الجيوش، كان دمث الأخلاق، لين العريكة، عفيفًا، محبًّا للخير، اهتمَّ بعلم الفلك؛ لذلك كان له جداول وصنع آلات لرصد النجوم، وكانت أيامه أيام ذعر لغزو الروم بلاده، إلى جانب قيام الثورات ضده من أبناء عمومته الذين ناوشوه إلى أن توفي عام ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٧٠- ٧٧.

الجيوش بتسليمه عدة قلاع، ومبلغًا من المال مقابل رفع الحصار عن الجزيرة الخضراء، وبمجرد انتهاء الحصار من الجزيرة قام فرناندو الرابع، وحاصر جبل طارق برًّا منتهزًا انشغال بني مرين بمشاكلهم الداخلية[١]؛ لذلك لم ينقذ جبل طارق أحد القوتين لا بني الأحمر، ولا بني مرين، ومن ثمَّ سقط في يد فرناندو الرابع، عام ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م[٢]، وكان لهذا السقوط أكبر الأثر على المسلمين؛ حيث كان همزة وصل بين العدوتين، ولم ينتهِ الأمر إلى هذا الحد، بل تطاول فرناندو الرابع وحرض مملكة أرجوان على حصار المرية عام ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م رغم وجود معاهدة تحالف وعلاقات صداقة شخصية بين ملك أرجوان وسلطان غرناطة وشيخ المجاهدين عثمان بن أبي العلاء وأبنائه[٣]، فحاصروها برًّا وبحرًا، ونصب عليها المجانيق، ولكنهم فشلوا في الاستيلاء عليها نتيجة المقاومة الإسلامية لها بقيادة شيوخ المجاهدين، وعلى رأسهم عثمان بن أبي العلاء، فرفعوا الحصار عن المرية بعد ستة أشهر من الحصار[٤].

يقول ابن الخطيب: «ونازل صاحب برجلونة –برشلونة– مدينة المرية غرة ربيع الأول... واستمرت المطاولة إلى أخريات شعبان ونفس الله الحصر، وفرج الكربة»[٥].

ويقول ابن خلدون: «وعقد ابن الأحمر لعثمان بن أبي العلاء زعيم الأعياص على عسكر بعثه مددًا لأهل المرية، فلقيه جمعٌ من النصارى كان الطاغية بعثهم لحصار

---

(١) حدث خلال هذه الفترة أن قتل السلطان يوسف بن يعقوب سنة ٧٠٦هـ، ونشب صراع داخلي بين أبنائه وأحفاده، انتهى بأن تولى ملك بني مرين أحد أحفاده، وهو أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب، والذي استطاع أن يقضي على الفتن الداخلية، ولكنه لم يعمر طويلًا، فقد مات بطنجة سنة ٧٠٨هـ، وتولى بعده أخوه أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف المريني، والذي كثرت في عهده الثورات، والاضطرابات، ولكنه استطاع أن يقضي عليها، بل وأعاد مدينة سبتة إلى حوزة بني مرين، وكان محبًّا للجهاد، توفي بتازا سنة ٧١٠هـ، ثم تولى الملك بعده عم أبيه السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، وكان قوي الشكيمة، صلبًا، محبًّا للجهاد، ضابطًا للأمور، ظل الملك في ذريته وأولاده من بعده. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة: صـ٧٢.

(٢) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٧٠–٧٧، محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس: صـ١١٥.

(٣) انظر: عمر سعيدان، العلاقات الأسبانية: ج١ صـ٤٣، ٤٥.

(٤) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣٣٠، عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي: صـ٥٤١.

(٥) ابن الخطيب، اللمحة: صـ٧٥.

مرشانة[١]، فهزمهم عثمان واستحلهم، ونزل قريبًا من معسكر الطاغية، وألح بمغادرتهم ومراوحتهم إلى أن رغبوا إليه في السلم وأخرج عن البلد»[٢].

وكان لانشغال بني مرين بأمر المغرب أكبر الأثر على مملكة غرناطة؛ حيث اضطربت أحوالها، واستولى القشتاليون على طريف، وجبل طارق؛ لمنع الإمدادات القادمة من الغرب، وأمام هذه الأحداث لم يجد السلطان نصر بن محمد الملقب بأبي الجيوش بُدًّا من عقد معاهدة صلح مع فرناندو الرابع ملك قشتالة، دفع على أثرها جزية للعدو[٣]، وقد أغضب هذا العمل أهل غرناطة، وعلى رأسهم شيوخ المجاهدين المقيمين بغرناطة، وظهرت بوادر الثورة في مدينة مالقة، حيث انتهت بخلع السلطان نصر الملقب بأبي الجيوش من السلطة، وتوليه حاكم مالقة إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف، والذي يكنى بأبي الوليد[٤] سلطانًا لغرناطة سنة ٧١٣هـ، وقد قام بتعيين أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء قائدًا للجيش الغرناطي[٥].

ولم يكن هذا التعيين إلا اعترافًا بكفاءة عثمان بن أبي العلاء، وعلو منزلته وجهاده، لدرجة أن بني الأحمر قد تحملوا الخلاف والجفوة مع بني مرين؛ بسبب عثمان بن أبي العلاء.

وفي خلال هذه الفترة اشتد القشتاليون في الهجوم على أراضي غرناطة فاستولوا على عدة حصون وقواعد، وهزم الجيش الغرناطي بوادي خرتونة ضاحية وادي آش عام ٧١٦هـ/ ١٣١٦م، وكانت هزيمة فادحة قتل فيها عدد كبير من المسلمين، واستولى العدو الصليبي بعدها على حصن قنبيل، وأمام هذه الضغوط بادر السلطان إسماعيل بن فرج سلطان غرناطة بطلب الغوث والإمداد من السلطان أبي سعيد عثمان سلطان المغرب[٦]، فتخاذل عن

---

(١) **مرشانة:** من حصون المرية. انظر: الحميري، الروض المعطار: صـ١٨١.

(٢) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣٣٠، عبد الرحمن الحجي، مرجع سابق: صـ٥٤١.

(٣) محمد عنان، نهاية الأندلس: صـ١١٦.

(٤) **هو:** السلطان أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس ابن نصر، كان جميل الخُلُق، كثير الحياء، عاصر ملوك المغرب الذين اختلفوا معه بسبب مدينة سبتة، مما جعله في مواجهة نصارى الأندلس، فعرضه لعدة هزائم، واغتيل عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م. انظر: ابن الخطيب، اللمحة: صـ٧٨- ٨٨.

(٥) ابن الخطيب، اللمحة: صـ٧٤، ٧٥، محمد عنان، مرجع سابق: صـ١١٦.

(٦) **هو:** السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، كان محبًّا للجهاد، وجودًا كريمًا، تولى السلطة بعد وفاة السلطان أبو الربيع سليمان ٧١٠هـ، وعمل على سلامة الدولة، وتوحيد أركانها، كان محبًّا

عن معاونته، وطالبه بتسليم عثمان بن أبي العلاء لما كان منه في حق بني مرين، فأبي إسماعيل بن فرج كسلطان غرناطة خشية العواقب[١]، وزحف القشتاليون على غرناطة بجيش عظيم، يقوده الدون بيدرو ومعهما عدد من الأمراء القشتاليين، وفرقة من المتطوعة الإنجليز بقيادة أمير إنجليزي، فبادر المسلمون إلى لقائهم في هضبة البيرة[٢] على مقربة من غرناطة، وكان الجيش الغرناطي لا يتجاوز ستة آلاف جندي منهم نحو ألف وخمسمائة فارس، ولكنهم كانوا صفوة المقاتلة من المجاهدين والمتطوعة، وكان قائد هذا الجيش شيخ المجاهدين أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء، فلم ترعه كثرة الجيش الصليبي المهاجم وعول في الحال على لقائه في هذه المعركة الحاسمة على إيمانه بالله -تعالى- فكم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله، فالتقى فرسان الأندلس بطلائع النصارى وردوهم بخسارةٍ فادحةٍ، ثمَّ زحف أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء في نخبة من جنده، ونشبت بين الفريقين موقعة شديدة، كانت الدائرة فيها على القشتاليين، فمزقوا شر ممزق، وقُتل منهم عدد كبير كان من بينهم دون بيدرو ودون خوان، ورهط كبير من الأمراء، والنبلاء، والأخيار، وغرق منهم عند الفرار في نهر شنبل عدد كبير واسر منهم بضعة آلاف، واستمرَّ القتال والأسر فيهم ثلاثة أيام[٣]، وكان ذلك في ربيع الثاني عام ٧١٨هـ.

وكان نصرًا مشهودًا أعاد ذكرى الجهاد المجيد، وكان معظم الفضل في إحرازه يرجع إلى الجند المغاربة وإلى شيوخهم بني العلاء الذين تزعموا الجيوش الأندلسية، ووضع المسلمون جثة الدون بيدرو في تابوت على سور المدينة تنويهًا بالنصر، وتخليدًا لذكرى الموقعة[٤]، وكما يقول ابن خلدون: «ونصب رأس بطرة بسور البلد عبرة لمن يتذكر»[٥].

للجد، يكره الترف، فكان يُطلَق عليه «السلطان المجاهد، الصالح المرابط»، خرج غازيًا لبلاد الأندلس؛ لردِّ هجمات النصارى عن المسلمين. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة: صـ٧٢- ٨٠.

(١) السلاوي، الاستقصا: ج٣ صـ١٠١.

(٢) **البيرة:** مدينة جليلة القدر، قريبة من غرناطة، نزلها جند دمشق من العرب، وهي كثيرة الأنهار، عاش فيها كثيرٌ من العلماء. انظر: الحميري، الروض المعطار: صـ٢٩- ٣٠.

(٣) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة: ج٢ صـ٢٦٥.

(٤) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٢٤٩، المقري، نفح الطيب: ج١ صـ٤٥٠.

(٥) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣٣١.

وزادت مكانة عثمان بن أبي العلاء شيخ المجاهدين عند ملوك بني الأحمر، والذي استمر يعطي كل ما لديه من خبرةٍ في قتال النصارى إلى أن توفي عام ٧٢٩هـ بعد أن أبلى بلاءً حسنًا في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين بالأندلس(١).

ونظرًا لهذا الدور قام السلطان إسماعيل بن فرج سلطان غرناطة بتعيين ابنه أبي ثابت عامر بن عثمان بن أبي العلاء قائدًا للجيش الغرناطي، والذي استمر يمارس سلطان أبيه ونفوذه وتدخله في شئون الدولة، وكان يؤازره إخوانه إدريس، ومنصور، وسلطان، وباقي أقاربه، وذلك خلال حكم أبي الوليد بن الأحمر(٢).

ولما تولَّى أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل(٣) بعد وفاة أبيه أبقى الشيخ عامر بن عثمان شيخًا للمجاهدين، وقائدًا للجيش الغرناطي، وظل هكذا حتى ٧٤١هـ، ولما كثر تدخل أبناء أبي العلاء في شئون الدولة بدأ السلطان أبو الحجاج يوسف يتبرم من تدخلهم واستبدادهم بالأمور؛ لذلك هرب منهم من هرب إلى إفريقية(٤).

وفي خلال هذه الفترة توفي عامر بن عثمان بن أبي العلاء، وتمَّ تعيين إدريس بن عثمان بن أبي العلاء شيخًا للمجاهدين، والذي استطاع استرجاع عدة حصون من نصارى قشتالة منها: حصن بشير، والصخرة، والسهلة، وظلَّ يتولى مشيخة المجاهدين حتى تدخلت بعض النفوس المريضة، فأفسدت العلاقة بين سلطان غرناطة وأبناء أبي العلاء، فأمر بالقبض على إدريس بن عثمان وإخوته، وأقام بدلًا منه ابن عمهم أبو زكريا يحيى بن عمر بن رحو(٥) شيخًا للمجاهدين، ورئيسًا لهم(٦).

---

(١) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٩٣، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة: ج٢ صـ٢٦٥.

(٢) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٩٣.

(٣) **هو**: أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج، ويكنى أبا الحجاج، تولى السلطة بعد قتل أخيه عام ٧٣٤هـ/ ١٣٤٢م وعمره ١٥ عامًا، وكان رئيس جنده المغربي من المجاهدين أبو ثابت عامر بن عثمان، ثم عين بعد وفاته عليهم ابن عمهم أبا زكريا يحيى بن عمر، كان حازمًا مرهوب الجانب، محبًّا للعلماء مكرمًا لهم، غلب على عهده الصلح مع العدو، وظل يحكم حتى اغتيل وهو يصلي سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة: صـ١٠٢، ١٠٣.

(٤) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٩٧، ٤٩٨.

(٥) **هو**: أبو زكريا يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق، ارتفعت منزلته بين قومه، انتقل بين إفريقية والأندلس أثناء أزمة سبتة في عهد شيخ المجاهدين عثمان، ولما انتهت أزمة سبتة ورجع عثمان إلى الأندلس اصطفاه وزوجه ابنته، وولاه عثمان على مشيخة المجاهدين في وادي آش، واستمر بها حتى عينه أبو الحجاج يوسف شيخًا للمجاهدين بغرناطة، وظل هكذا حتى نكبه السلطان الغني بالله هو وابنه. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة صـ١١٦، ابن الخطيب، ريحانة الكتاب: ج٢ صـ٦٤، ٦٦، ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٩٥، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة: ج٤ صـ٢١٦.

(٦) ابن الخطيب، اللمحة: صـ١٠٥.

وظل الأمر هكذا حتى قتل السلطان أبو الحجاج يوسف سنة ٧٥٥هـ، وتولى بعده ابنه السلطان محمد بن يوسف الملقب بالغني بالله، فأقر على المجاهدين شيخهم يحيى بن عمر؛ لمكانته، وعلو قدره، يقول ابن الخطيب: «أقرَّ على الغزاة أبا زكريا يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق مطمح الطرف، ومرمى الاختيار، ولباب القوم حزمًا ودهاءً، نسابة القبيل، وأصمعي لغتهم، وكسرى سياستهم، وزاده خصوصية بملازمة مجلس العرض، وملتقى الرسل الواردة»(١).

وفي خلال فترة حكم السلطان الغني بالله لغرناطة كان سليمان بن داود، وهو أحد كبار رجال دولة بني مرين، والمشهود له بالكفاءة العسكرية، والذي خدم تحت أمره أبناء أبي العلاء يطمع في رئاسة مشيخة المجاهدين، وكان قريبًا من السلطان الغني بالله، وكاد السلطان أن يسند إليه رئاسة مشيخة المجاهدين لولا تدخل الوزير لسان الدين بن الخطيب، والذي وقف عثرة دون تحقيق هذه الأمنية لسليمان بن داود؛ لما كان بينهما من عداوةٍ، ومنافسةٍ، الأمر الذي جعل ابن الخطيب يحول دون تحقيق هذا المطلب، وتعلل بأن هذه الوظيفة لا يتولاها إلا من كان من أبناء عبد الحق بن محيو من بني مرين؛ لذلك غضب سليمان بن داود من صنيع ابن الخطيب، ولم ينسَ له هذا الموقف عندما وقع في الابتلاء والفتنة التي أتحدث عنها في المبحث الثاني.

ولما فقد السلطان الغني بالله ملكه وسلطانه، وتم خلعه سنة ٧٦٠هـ، وتولى أخوه إسماعيل بن يوسف السلطة في غرناطة أبقى الشيخ يحيى بن عمر شيخًا للمجاهدين الغزاة، وظل بها حتى قتل السلطان إسماعيل لما ثار الناس عليه، وقتل على يد زوج أخته محمد بن إسماعيل بن فرج الملقب بالرئيس أبو السعيد، والذي تولى السلطة في غرناطة، ولكن لم يرض الناس عنه، فثاروا عليه، ففر إلى ملك قشتالة ٧٦٣هـ، وأعاد الناس السلطان محمد بن يوسف الغني بالله مرة ثانيةً سلطانًا لغرناطة ٧٦٣هـ، وظل الشيخ يحيى بن عمر شيخًا للمجاهدين حتى نكبه وجار عليه هو وابنه السلطان الغني بالله، وقبض عليهما، وأودعهما السجن بمدينة المنكب.

(١) ابن الخطيب، اللمحة: صـ١١٦، ١١٧.

يقول ابن الخطيب: «فاستلبه جاهًا عريضًا، وملكًا كبيرًا، وأحاق به مكروهًا مبيرًا»[١]، وظل محبوسًا حتى مات سنة ٧٦٤هـ.

ويذكر ابن خلدون أن السلطان الغني بالله لما استرد ملكه كان أول ما فعله أن قام بالقبض على أبناء أبي العلاء، وأودعهم السجن، ومحا خطة الغزاة من بني مرين، وأسندها لابنه وولي عهده الأمير يوسف، فلبث مضطلعًا بها زهاء ثلاثة أعوام[٢].

ولما خلع السلطان الغني بالله من الحكم خرج إلى وادي آش فاستقر بها، وكان علي بن بدر الدين مقدمًا على مشيخة المجاهدين في منطقة وادي آش، فأحسن إلى الغني بالله، وتوثقت العلاقة بينهما فلما عاد الغني بالله إلى الحكم مرة ثانية، عاد معه علي بن بدر الدين، فلما فكر الغني بالله في إحياء مشيخة المجاهدين بحث عمن يسندها إليه، فوقع اختياره على علي بن بدر الدين، فعينه فيها عام ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م، ولكنه ما لبث أن توفي بعد عام واحدٍ من تقلده إياها، فعندئذٍ قرر الغني بالله أن يمحو هذه الخطة من مملكته، وصار أمر المجاهدين والمتطوعة إلى السلطان مباشرةً، حيث عني بشئونهم بنفسه[٣].

---

(١) ابن الخطيب، اللمحة: صـ١٣٠.

(٢) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٩٨، محمد عنان، نهاية الأندلس: صـ١٤٢.

(٣) محمد عنان، نهاية الأندلس: صـ١٤٦، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ: ج٢ صـ١١٦.

المبحث الثاني

الدور السياسي لشيوخ المجاهدين

لقد كان لشيوخ المجاهدين والمتطوعة دورٌ مهمٌّ ليس في أمور الجهاد والحرب ضد النصارى فقط، بل تعدَّاه لعدَّة جوانب حضارية أخرى، منها: الجوانب السياسية، فلقد كانوا محركًا للأمور السياسية في المغرب والأندلس، وهذا الدور السياسي الهام ناتج عن دورهم الفعال في الجهاد في سبيل الله، ومكانتهم الكبيرة لدى عامة الناس، وخاصتهم، والسلطة السياسية، فعندما قامت دولة بني مرين بالمغرب، واستولى أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني على السلطة، وُجِدَ له منافسون من نفس العائلة، إلى جانب أبناء عمومتهم بني وطاس، يضاف إلى ذلك فرسان بني مرين الباحثين عن السلطة والكراسي، وكذلك مغامرين ممن تكاد أرضهم تزهد فيهم.

فما كان من سلطان المغرب من أمرٍ إلا إبعادهم عن الوطن الأم إلى بلاد الأندلس؛ لكي ينشغلوا بجهاد النصارى، ولكن هذا لم يمنعهم من الدخول إلى بلاد المغرب منتهزين ومستغلين أي فرصة لفرض تواجدهم خاصة وأن بلاد المغرب الأقصى في عهد بني مرين دخلت في كثير من المشاكل والمشاغل السياسية؛ لذلك وجد شيوخ المجاهدين المقيمون في الأندلس فرصًا للتدخل في الشئون السياسية ببلاد المغرب، وإعلان الثورة على النظام الحاكم؛ للمطالبة بحقهم، وكان من هذه الشخصيات: عثمان بن أبي العلاء.

فقد استغل بنو الأحمر ثورة شيخ المجاهدين عثمان بن أبي العلاء في تصفية حساباتهم مع السلطة المرينية مستغلين رغبة عثمان في المطالبة بحقه في ملك بني مرين، فادَّعى بنو الأحمر أن مدينة سبتة في طريقها للوقوع في أيدي النصارى، وقد كان سكانها يعانون من سوء الأحوال المعيشية[1]؛ لذلك جهز أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف ثالث ملوك غرناطة وابن عمه الرئيس أبو سعيد فرج بن إسماعيل حملة بقيادة عثمان بن أبي العلاء من مالقة يوم ٢٧ شوال يوم ٧٠٥هـ/ ١٢ مايو ١٣٠٦م، وقد

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس: صـ٣٨٧.

تمكَّنت الحملة من الاستيلاء على سبتة، ورحب سكانها بانضوائهم تحت لواء بني الأحمر، ونقلوا أسرة بني العزفي إلى مالقة، ومنها إلى غرناطة، واستقبلهم بنو الأحمر(١).

وكان عثمان بن أبي العلاء يطمع في الاستيلاء على الحكم ببلاد المغرب الأقصى بمساعدة بني الأحمر من أيدي المرينيين(٢)، فعندما وصلت أخبار استيلاء بني الأحمر على سبتة، كان السلطان يوسف بن يعقوب محاصرًا تلمسان، فعظم عليه الأمر، فبعث ولده الأمير أبا سالم إبراهيم في جيش كثيف لاسترداد سبتة، ولكنه رجع مهزومًا فغضب عليه والده(٣)، ثمَّ ما لبث أن قتل السلطان يوسف بن يعقوب على يد أحد الخصيان في السابع من ذي القعدة عام ٧٠٦هـ/ ١٣٠٧م(٤)، فقام صراع على السلطة بين أبي سالم إبراهيم، وبين ابن أخيه أبي ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف، ونشبت حرب أهلية بينهما، قتل فيها الكثير منهم(٥)، انتصر فيها أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب، وفرَّ مَنْ كان مع أبي سالم بعد مقتله، وانضموا إلى عثمان بن أبي العلاء بسبتة(٦)، وتحرك عثمان في نواحي سبتة، وبلاد غمارة وتغلب على مكناسة وأصيلا(٧)، والعرائش(٨)، وانتهى

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس: صـ٣٨٧، ابن الخطيب، اللمحة: صـ٦٠، ابن الأحمر، نثر فرائد الجمان في شعر من نظمي وإياه الزمان، تحقيق: محمد رضوان الداية: صـ٣٨، (بيروت ١٩٧٦م)، السلاوي، الاستقصا: ج٣ صـ٨٢.

(٢) ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: محمد كمال شبانة، (القاهرة ١٩٦٦م): صـ٢٢، محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني: صـ٩٠ (الكويت ١٩٨٥م).

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس: صـ٣٨٨، ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣٠٣، السلاوي، الاستقصا: ج٣ صـ٨٢.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس: صـ٣٨٨، ابن الخطيب، الإحاطة: ج١ صـ٥٥، ابن خلون، العبر: ج٧ صـ٣٠٨، السلاوي، الاستقصا: ج٣ صـ٨٥.

(٥) ابن الخطيب، اللمحة: صـ٦٤، ٦٥.

(٦) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣٠٨- ٣٠٩، عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب: صـ١٣٠.

(٧) **أصيلا:** مدينةٌ كبيرةٌ بها آثار عامرة وكثيرة الخصب، ولها مرسى يرتاده التجار، وهي أول مدن المغرب من جهة الغرب، تقع على البحر المتوسط، ويقام بها سوق كبير ثلاث مرات في السنة، ويفد عليها التجار بأنواع عدة من السلع. للمزيد انظر: الحسن الوزان، وصف أفريقية: ج١ صـ٣١١- ٣١٣.

(٨) **العرائش:** مدينة أسسها الأفارقة على شاطئ المحيط الأطلنطي عند مصب نهر اللكوس، وهي واقعة على إحدى ضفاف النهر، بها غابات كثيرة. للمزيد انظر: الحسن الوزان، وصف أفريقية: ج١ صـ٣٠٢.

إلى قصر كتامة[١]، وأعلن نفسه سلطانًا على بلاد المغرب[٢]، وفي ذلك الوقت كان السلطان أبو ثابت محاصرًا تلمسان فرفع حصاره عنها متوجهًا إلى سبتة، فأرسل قبله جيشًا بقيادة ابنه الحسن بن عامر بن عبد الله بن يوسف في نهاية عام ٧٠٧هـ/ ١٣٠٨م، ولكن عثمان بن أبي العلاء استطاع هزيمة جيش بني مرين، وبايعت القبائل عثمان بن أبي العلاء[٣]، واستولى عثمان بن أبي العلاء على البلاد المحيطة بقصر كتامة، وانضمت إلى عثمان بن أبي العلاء القبائل الهاربة من بطش السلطان أبي ثابت[٤]، بالإضافة إلى ذوي الأطماع، والراغبين في السلطة، وأعطى كل هؤلاء قوة لعثمان بن أبي العلاء؛ مما جعله يتحدى السلطة المرينية، وعندما أحس السلطان أبو ثابت بخطورة الموقف استجمع قواه وتحرك على رأس جيش جرار متجه إلى بلاد غمارة[٥]، وفرق جنوده في نواحي سبتة يشنون الغارات، ويخربون الزروع، حتى يضعف أمر الثوار[٦]، وفي نفس الوقت أرسل وفدًا بقيادة أبي يحيى بن أبي الصبر إلى سلطان غرناطة أبي عبد الله محمد بن محمد؛ ليفاوضه في ضمِّ سبتة[٧]، وفي أثناء انتظار قدوم وفد غرناطة في عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م مات السلطان أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف المريني في ذلك الوقت، وتولى مكانه السلطان أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف في نفس يوم وفاة أخيه، وعاد السلطان أبو الربيع إلى فاس؛ لتنظيم قواته للقضاء على هذه الثورة، والتي استفحل أمرها، ولما اشتدت رحى الحرب بين الطرفين؛ فرَّ عثمان بن أبي العلاء من الميدان، وأسر ولده

---

(١) **قصر كتامة:** هو الذي يُعرف بالقصر الكبير، أسس في عهد المنصور الموحدي، ويجري بجوار القصر نهر اللكوس، ويكثر بهذا القصر الصناع والتجار، وبه عدد من الجوامع ومدرسة ومارستان، وأهل القصر كرماء لباسهم حسن، وخارج القصر حدائق كثيرة، وأرض بها ثمار مثل العنب، ولها سوق يعقد يوم الاثنين يفده أعراب النواحي المجاورة، ويبعد القصر غن مدينة أصيلا بثمانية عشر ميلًا. انظر: الحسن الوزان، وصف أفريقية: ج١ صـ٣٠٣- ٣٠٥، عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب: صـ٣٢٠.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس: صـ٣٨٩، ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣٠٣، السلاوي، الاستقصا: ج٣ صـ٨٣، الحريري، تاريخ المغرب: صـ٩٣.

(٣) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣٣، السلاوي، الاستقصا: ج٣ صـ٨٣، الحريري، مرجع سابق: صـ٩٥.

(٤) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣١٣، السلاوي، الاستقصا: ج٣ صـ٩٥.

(٥) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣١٣، السلاوي، الاستقصا: ج٣ صـ٩٥، الحريري، مرجع سابق: صـ٩٥.

(٦) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣١٤.

(٧) ابن أبي زرع، روض القرطاس: صـ٣٩٢، ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣١٧، السلاوي، مرجع سابق: ج٣ صـ٩٦.

وجماعة من عسكره، وقتل منهم خلقًا كثيرًا[١]، ووصل في نفس الوقت سفير السلطان أبي ثابت من غرناطة بعد أن أنهى مهمته بنجاحٍ، وعقد صلحًا مع السلطان أبي عبد الله محمد بن الأحمر، فيئس عندئذٍ عثمان بن أبي العلاء من إحراز أي نصر ضد القوات المرينية، وبالتالي عبر عثمان إلى بلاد الأندلس فيمن معه من القرابة، ولحق بغرناطة[٢].

واستطاع السلطان أبو الربيع فيما بعد من إعادة مدينة سبتة إلى بني مرين في أيامه، ولم تطل حياته، فقد توفي بتازا سنة ٧١٠هـ، وتولى بعده ملك بني مرين عم أبيه السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق.

ثمَّ ما لبث أن قامت فتنة بين الوزير محمد بن أحمد بن محمد بن المحروق، وهو أحد كبار رجالات دولة بني الأحمر، والمسيطر على شئون الدولة، وبين عثمان بن أبي العلاء شيخ المجاهدين في ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، عندما حاول الوزير محمد بن المحروق فرض سيطرته عليه كما فرضها على السلطان من قبل، ومنعه من الاتصال بالسلطان محمد بن إسماعيل الغرناطي[٣] إلا عن طريقه، ومنع رجال شيوخ المجاهدين من دخول المدينة، ثم تطاول فعزل عثمان بن أبي العلاء، وقدم عليه يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الحق بدلًا منه[٤]؛ مما أدى هذا إلى إشعال الفتنة، فخرج عثمان بن أبي العلاء، ولحق بالمرية، حيث

---

(١) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣١٤، السلاوي، الاستقصا: ج٣ صـ٩٧.

(٢) ابن الخطيب، كناسة الدكان: صـ٢٢، الإحاطة: ج٣ صـ٥٣٧، ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٣١٤، السلاوي، الاستقصا: ج٣ صـ٩٧- ٩٨.

(٣) **هو**: محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، ويكنى أبا عبد الله، كان شجاعًا معدودًا من نبلاء الملوك، أخذت له البيعة يوم مهلك أبيه عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م، وأول عمل قام به غزا مدينة قبرة من أعمال قرطبة، ودخلها عنوةً، وانتصر على نصارى قشتالة، كما غزا حصن قشرة من نواحي طليطلة، كما فتح جبل الفتح، وطرد جنود قشتالة منه، لكن وقعت أحداث سيئة بين وزيره، وشيخ المجاهدين عثمان مما اضطره إلى قتل وزيره المتغلب؛ وسبب الاضطراب بينه وبين شيخ الغزاة، واستقام الأمر، ولكن الأمر لم ينتهِ حيث قتل على يد جماعة من جند المغاربة عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م. للمزيد انظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٩٠- ٩٧.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثاني، تحقيق: ليفي بروفنسال، بيروت ١٩٥٦م: ج٢ صـ٢٩٦.

مقر المشيخة وبها جيشه، واعتصم بحصن أندرش[١]، وبدأ يدعو للثورة على الوزير، فاستجاب له السكان المجاورون للحصن، وبعث في استدعاء عم السلطان محمد بن فرج بن إسماعيل الذي كان منفيًّا في تلمسان، ودعا له بالسلطة، فقدم محمد بن فرج على وجه السرعة في صفر عام ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، وفي ذلك يقول ابن خلدون: «فجاء إليه ونصبه للأمر، وشنَّ الغارات على غرناطة صباحًا ومساءً، واضطرمت نار الفتنة»[٢]، وبذلك استفحلت الفتنة، ونشبت حروب بين الفريقين[٣]، فاغتنم القشتاليون هذه الفتنة، واستولوا على ثغر وبره، وجملة من الحصون التي تجاوره[٤].

ولمَّا تفاقم خطر القشتاليين آثر السلطان محمد بن إسماعيل التفاهم مع الثوار، وترددت الرسائل بينه وبين عثمان بن أبي العلاء، وانتهت بعقد هدنة بينهما، ورجوع عثمان بن أبي العلاء للطاعة، وقتل الوزير محمد بن أحمد بن المحروق بأمره، في بداية عام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م[٥] المتسبب في إشعال نار الفتنة[٦].

وفي ذلك يقول ابن خلدون: «واستدعى –أي السلطان محمد بن إسماعيل– عثمان بن أبي العلاء، وعقد له السلم على أن يجيز عمه إلى المغرب، ويلحق هو بغرناطة لشأنه من رياسة الغزاة، فتمَّ ذلك سنة ٧٢٩هـ، ورجع إلى مكانه من الدولة».

ومن الواضح أن عثمان بن أبي العلاء استخدم عم السلطان كورقة ضغط على السلطان في مقابل التخلص من الوزير ابن المحروق؛ لذلك رده إلى تلمسان مرة ثانية دون أدنى مشكلة.

وازداد تدخل أبناء أبي العلاء في شئون الدولة في عهد أبي ثابت عامر بن عثمان بن أبي العلاء الذي استمرَّ في ممارسة سلطات أبيه، ومحاولة بسط نفوذه على مقاليد الحكم بغرناطة، وكان يؤازره في ذلك إخوانه إدريس، ومنصور، وسلطان، وبقية العائلة، فكانوا يتدخلون بآرائهم في حل الكثير من المشكلات، والأزمات؛ وقد أدَّى ذلك إلى النزاع مع

---

(١) **أندرش**: مدينة من أعمال المرية، وهي من أحسن مدن المرية. انظر: الحميري، الروض المعطار: صـ٣١.

(٢) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٩٣.

(٣) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٩٣.

(٤) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٩٣.

(٥) المصدر السابق: صـ٩٤.

(٦) المصدر السابق: صـ٩٣- ٩٤.

سلطان غرناطة[١]، الذي تبرَّم من استبدادهم، وتطاولهم، وخاطب في ذلك السلطان أبي الحسن المريني[٢] عند زيارته له عام ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م بوصفه شبه مسئول عن شيوخ المجاهدين بالأندلس؛ لذلك طلب منه إيجاد حل للخلاص منهم، ولما بلغهم الخبر خشوا أن يفتك بهم بالتعاون مع أبي الحسن المريني، فصمموا على الخلاص منه[٣]، فبعد أن أقلع الفونسو ملك قشتالة عن جبل الفتح منهزمًا، فقل السلطان محمد بن إسماعيل راجعًا إلى غرناطة، فترصدوا له في الطريق، بموضع يعرف بوادي السقائين، وهجمت عليه مجموعة منهم، وكان راكبًا بغلًا أهداه إليه الفونسو عند مقابلته له بجبل الفتح، وبدأوا في تأنيبه، ثم وثب عليه مملوك من مماليك أبيه كانوا أحضروه لذلك، وطعنه ثم تناوله الباقون بالرماح طعنًا حتى قضوا عليه في ١٧ ذي الحجة عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م، وفرَّ الجناة بعد أن تركوه بالعراء مسلوبًا سيئ المصرع، ثم أقام أبناء ابي العلاء بإحضار أخيه يوسف بن إسماعيل وبايعوه[٤].

وهكذا نرى أن شيوخ المجاهدين في بلاد الأندلس بقدر ما حققوه من انتصاراتٍ في ميادين الجهاد لبني الأحمر بقدر ما أصبحوا شوكةً في ظهرهم يحسب لهم ألف حساب.

وعلى الرغم من دور شيوخ المجاهدين في تولية أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل، إلا أنه أخذ في تتبع بني أبي العلاء قتلة أخيه، وجرَّدهم من وظائفهم، ومزَّق عصبتهم، وقبض على شيوخهم في ٢٩ ربيع الأول عام ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م تحقيقًا لرغبة السلطان أبي الحسن المريني[٥]، ولما فروا هاربين ونزلوا على سلطان تونس أبي يحيى زكريا الحفصي، طالب السلطان أبو الحسن بتسليمهم، فأرسلهم إليه أبو يحيى مع طلب الشفاعة لهم، فأكرمهم،

---

(١) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٩٣.

(٢) **هو**: أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، تولى السلطة بعد وفاة والده ٧٣١هـ، كان محبًّا للجهاد، كريمًا، محبًّا للعلم والعلماء، له علاقة وصداقة مع ملوك بني الأحمر. للمزيد: ابن الخطيب، اللمحة: صـ٩٥.

(٣) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٧٩٣، محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس: صـ١٢٥.

(٤) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: صـ٩٧، ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٩٤، محمد عبد الله عنان، لسان الدين، ابن الخطيب حياته وتراثه الفكري (القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م): صـ٢٥.

(٥) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٩٤.

وعفا عنهم، ثمَّ ما لبث أن قبض عليهم بتهمة التآمر عليه، واعتقلهم بمكناسة[١] عام ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م[٢].

ولما توفي السلطان أبو الحسن عام ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م وتولى ابنه أبو عنان المريني أطلقهم من سجنهم، وأفاض فيهم الإحسان، وأخذ في تعيينهم بالمغرب الأقصى[٣]، وعهد السلطان أبو الحجاج بمشيخة المجاهدين بعد إدريس بن أبي العلاء إلى شيخ آخر من قرابة بني مرين هو يحيى بن عمر بن رحو، والذي استمر في المشيخة مدة طويلة تولى خلالها السلطان الغني بالله محمد بن يوسف حكم غرناطة، ثم خلع، ثم تولاها مرة ثانية، وفي أثناء الولاية الثانية حدث أن جار الغني بالله على يحيى بن عمر شيخ المجاهدين ونكبه هو وابنه فقبض عليهما وأودعهما السجن بمدينة المنكب[٤].

ثم أسند الغني بالله مشيخة المجاهدين إلى علي بن بدر الدين، والذي توفي بعد عام واحدٍ من تقلده إياها، فعندئذٍ قرر الغني بالله أن يمحو هذه الخطة من مملكته، وصار أمر المجاهدين والمتطوعة إلى السلطان مباشرة، حيث عني بشئونهم بنفسه[٥].

ومن الشخصيات البارزة التي كان لها دور سياسي استغله بنو الأحمر لتحقيق بعض المصالح السياسية على حساب بني مرين: الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن بن السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، والذي لما ضاق به الحال في بلاد المغرب من تسلط الوزير المغربي عمر بن عبد الله بأمور دولة بني مرين إلى جانب سوء المعاملة التي وجدها من أبناء السلطان أبي الحسن المريني وأبناء عمومته

---

(١) **مكناسة:** مدينة كبيرة أسستها قبيلة مكناسة فسميت باسمها، وتبعد عن فاس بنحو ستة وثلاثين ميلًا، وعن الأطلس بخمسة عشر ميلًا، وتقع على سهل بديع، ويمر بالقرب منها نهر صغير، وتحيط بها الحدائق، ويكثر بها أنواع عدة من الفاكهة خاصة العنب، كما يزرع بها الزيتون بوفرة؛ لذلك أطلق عليها مكناسة الزيتون، والذي يصدر زيته إلى الآفاق، ويقام عليها سور عظيم، وهي مدينة حصينة جدًّا، ويكثر بها الحمامات، والأسواق، والمساجد. للمزيد انظر: الحسن الوزان، وصف أفريقية: ج١ صـ٢١٤- ٢١٥.

(٢) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٩٤، محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس: صـ١٢٥.

(٣) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب: ج٢ صـ٦٩- ٧٠، ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٩٤.

(٤) ابن الخطيب، اللمحة: صـ١٣٠.

(٥) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٥٠٢، محمد عنان، نهاية الأندلس: صـ١٤٢، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ: ج٢صـ١١٦.

لـه ولبقيـة أسرته قـرر الرحيـل إلـى بـلاد الأنـدلس مـع وزيـره مسـعود بـن ماسـاي ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م[١]، فنـزل علـى السـلطان الغنـي بـالله وعلـى وزيـره ابـن الخطيـب والـذي اصـطفاه واستخلصـه لنجـواه ورفـع فـي الدولـة رتبتـه وأعلـى منزلتـه لـدى السـلطان[٢]، وعقد لـه علـى المتطوعة المغاربة والمجاهدين من زناتة، مكان ابن عمه علي بن بدر الدين وذلك ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م[٣].

وكـان هـذا الأمـر ممـا أغضـب السـلطان عبـد العزيـز المرينـي خاصـة وأن الأميـر عبـد الرحمن بن أبي يفلوسن قد كثر شغبه ضد بنـي مـرين، وبدأ يحـرض غيـره مـن فرسـان زناتـة على ملوك بني مرين، الأمر الذي أثار غضب السلطان عبد العزيز المرينـي فبعث وفدًا إلـى بـلاد الأنـدلس برئاسـة كاتبـه أبـي يحيـى بـن أبـي مـدين إلـى الـوزير ابـن الخطيـب، وأوصـاه بالقبض على الأمير عبد الرحمن ووزيره مسعود بن ماساي[٤].

وكان ابن الخطيب ساعيًا في مرضاة السلطان عبد لعزيز فأدار ابن الخطيب في ذلك مكره وحمل السلطان الغني بالله عليهما إلى أن سطا بهما، واعتقلهما، وظلا في الحبس بغرناطة سائر أيام السلطان عبد العزيز؛ إرضاءً له[٥].

ولكن تغير الحال بالنسبة لابن الخطيب فبعد أن كان وزيرًا مطاعًا لدى السلطان الغني بالله تنكر له وتغير عليه، ففر هاربًا إلى بلاد المغرب لدى السلطان عبد العزيز، وظل في كنفه وتحت رعايته[٦].

وهذه الفتنـة وتلك المحنـة التـي وقـع فيهـا ابـن الخطيـب كانـت مـن تـدبير مجموعـة مـن علماء وفقهاء غرناطة، كان على رأسهم قاضي القضاة القاضي أبو الحسن علي بن عبد الله النباهي، وابن زمرك الكاتب، والشاعر الأندلسي منافسة له وحسدًا على ما ناله ابن الخطيب من مكانةٍ، وقد تأثر ابن الخطيب بهذه الحملة الثائرة ضده، والتي أفضت به إلى التفكير في مغادرة الأندلس إلى بلاد المغرب، وقد ساءت حالته النفسية لما علم أن

---

(١) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٤٨.

(٢) ابن الخطيب، الحلل الموشية: صـ٣٤.

(٣) ابن الخطيب، الحلل الموشية: صـ٣٤، ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٥٠١.

(٤) ابن الخطيب، الحلل: صـ٣٤.

(٥) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٤٨، ٥٠١.

(٦) ابن الخطيب، الحلل: صـ٣٤.

خصومه قاموا بحرق كتبه ومؤلفاته، بل طالبوا بتنفيذ حكم الإعدام فيه؛ لأنه ملحد زنديق[١].

وقد اشتد السلطان الغني بالله عليه وتأكدت العداوة بينهما لما نمى إليه أن ابن الخطيب يرغب السلطان عبد العزيز في ملك بلاد الأندلس، ويحمله عليه؛ لذلك عمل السلطان الغني بالله جاهدًا في القبض عليه، فبعث بالهدايا الثمينة التي لم يسمع بمثلها إلى سلطان المغرب، وأوفد بها رسله يطلب تسليم ابن الخطيب، ولكن السلطان عبد العزيز رفض ذلك الطلب[٢].

لذلك ساءت العلاقات بين الدولتين؛ فكانت النتيجة أن قام السلطان الغني بالله بإطلاق سراح الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ووزيره مسعود بن ماساي من محبسه بغرناطة، بل وأمدهما بالمال والسلاح والرجال، وأرسلهم إلى بلاد المغرب، حيث بدأ الأمير عبد الرحمن يشاغب ملوك بني مرين، ويطلب بحقه في الملك، ولا سيما بعد وفاة السلطان عبد العزيز، وقد انضمت إليه بعض القبائل، واشتد شوكته، وأصبح يمثل خطر على بلاد المغرب، الأمر الذي جعل السلطان أبو العباس أحمد بن أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن، والذي تولى السلطة في بلاد المغرب بعد وفاة السلطان عبد العزيز، والذي حاول إرضاء الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن فولاه على مدينة مراكش[٣].

أما بالنسبة لوضع ابن الخطيب فقد كان في مأمن حتى مات السلطان عبد العزيز؛ مما جعل السلطان الغني بالله يلح في طلب ابن الخطيب، وأصبحت قضية القبض على ابن الخطيب، وتسليمه إلى بلاد غرناطة، أو هلاكه الشغل الشاغل، وغاية من أهم الغايات لدى السلطان الغني بالله ورجال دولته.

ولذلك سعى سليمان بن داود وهو من ألد أعداء ابن الخطيب في القبض عليه؛ لذلك أغرى السلطان أبو العباس أحمد المريني، والذي حاول إصلاح العلاقات بين الدولتين فسمح بالقبض عليه، فتمكن سليمان بن داود من القبض على ابن الخطيب، وبعث به إلى بلاد الأندلس، فأودع بالسجن بغرناطة، وأراد سليمان بن داود الانتقام منه لما سلف له من

---

(١) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٥٠٢، السلاوي، الاستقصا: ج٤ صـ٦٢.

(٢) ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٥٠٢، السلاوي، الاستقصا: ج٤ صـ٦٢.

(٣) ابن الخطيب، الحلل الموشية: صـ٣٥، ابن خلدون، العبر: ج٧ صـ٤٤٨- ٥٠٢.

عداوة بينهما، فدس إليه سليمان بن داود بعض الأوغاد من حاشيته، فطرقوا عليه السجن ليلًا فقتلوه خنقًا في السجن، ثم أخرجت جثته في الغد فدفن في مقبرة باب المحروق سنة ٧٧٦هـ(١).

وهكذا نرى أن ملوك بني الأحمر استغلوا بعض الشخصيات من ذوي الأطماع السياسية من بني مرين لاستغلالهم في تصفية الحسابات السياسية بين الدولتين؛ لذلك لعب كثير ممن تولوا مشيخة المجاهدين المغاربة ببلاد الأندلس أدوارًا سياسية كان لها أثرها على العلاقات بين بني مرين، وبني الأحمر.

كما كان لشيوخ المجاهدين علاقات سياسية متناقضة مع الممالك النصرانية بأسبانيا، ففي الوقت الذي كانت فيه علاقتهم بمملكة قشتالة عدائية في حالة حربٍ دائمةٍ ومستمرةٍ، فلا تنقطع الحروب والمعارك بينهما، نجد أن علاقتهم بمملكة أراجون كانت تقوم –في أغلب أوقاتها– على الصداقة، والود، وحالة من السلم العام، بل وصلت في كثيرٍ من الأحيان إلى حد تبادل الهدايا، والمراسلات، وتقديم يد العون والمساعدة لهم، وكل ما يحتاجونه من خدمات(٢).

كما عثر على وثيقة تعازي صادرة من شيخ المجاهدين عامر بن عثمان بن أبي العلاء إلى ملك أراجون بيدرو الرابع يعزيه في وفاة والده الفونسو الرابع(٣)، ورسالة أخرى صادرة من سلطان بن عثمان بن أبي العلاء لنفس الغرض، ويهنئ بيدرو الرابع باعتلائه على العرش(٤).

وكان يفد على بعض شيوخ المجاهدين مثل عامر بن عثمان بعض الشخصيات المسيحية مثل: السيد إستبيان سانشت، الذي طلب منه التوسط لدى ملك أراجون ليلحقه بالخدمة في البلاط الأراجوني(٥).

---

(١) ابن الخطيب، اللمحة، حاشية: صـ١٠، المقري، نفح الطيب: ج٧ صـ٣٢.

(٢) عمر سعيدان، العلاقات الأسبانية: ج١ صـ١٤٨، ١٨١، كمال شبانة، يوسف الأول ابن الأحمر: صـ٥٢١.

(٣) عمر سعيدان، العلاقات الأسبانية: ج١ صـ٢٥٠، كمال شبانة، يوسف الأول: صـ٥٤٤.

(٤) كمال شبانة، يوسف الأول: صـ٥٤٦.

(٥) عمر سعيدان، مرجع سابق: ج١ صـ١١٤، كمال شبانة، مرجع سابق: صـ٥٥٦.

وقد استغل شيوخ المجاهدين هذه العلاقة بينهم وبين ملوك أراجون؛ للاستفادة منها في نفع المسلمين، وحماية أعراضهم، وأموالهم، وفك أسراهم من أيدي النصارى الآخرين، بل وربما انتفع ملوك أراجون من علاقاتهم بشيوخ المجاهدين؛ لتخفيف حدة التوتر فيما بينهما بما يساعدهم في التصدي لأطماع ملوك قشتالة في أراضي مملكة أراجون خاصة وأن مملكة أراجون كانت مملكة فقيرة لم يكن لديها الإمكانيات المادية والعسكرية التي بها تستطيع مواجهة المسلمين؛ لذلك حرصت دائمًا أن يكون بينها وبين المسلمين حالة من السلم الدائم، اللهم إلا في بعض الأوقات التي تحاول فيها مملكة قشتالة جر رجلها في حروبها مع المسلمين، فكانت تشارك مرغمةً، أو تحت ضغوط البابا كما يذكر ذلك ابن الخطيب فيقول: «وهو أن كبير دين النصرانية -يقصد البابا- الذي إليه ينقادون وفي مرضاته يصافون ويعادون، وعند رؤية صليبه يكبون ويسجدون لما رأى أن الفتن قد أكلتهم... أعمل نظره في أن يجمع منهم ما افترق، ويرفع ما طرق»(١).

ويذكر في موضع آخر: «فَإِن القومس الْأَعْظَم، قيوم دين النَّصْرَانِيَّة-يقصد البابا-، الَّذِي يأمرهم فتطيع، ومخالفته لَا تَسْتَطِيع، رمى هَذِه الْأمة الغريبة المنقطعة، مِنْهُم بجراد لَا يسد طريقها، وَلَا يُحْصى فريقها»(٢).

وهكذا نرى أن هذه العلاقة التي كانت بين شيوخ المجاهدين وملوك غرناطة مع مملكة أراجون إنما علاقتهم وصداقتهم معهم كانت تقوم على رعاية مصالح المسلمين، ونفعهم، وليس لإلحاق الضرر بإخوانهم، أو وقوع خيانة لدينهم أو بني جلدتهم.

---

(١) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب: ج٢ صـ٤٩، ٥٠، محمد عنان، نهاية الأندلس: صـ١٤٤.

(٢) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب: ج٢ صـ٣٢، ٣٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على من ختم الله به النبوات، وعلى آله وصحبه الذين كان ولاؤهم وتشيعهم لمحمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- وللحق الذي جاء به، وكانوا بنعمة الله إخوانًا في جميع الأوقات.

وبعد

فقد بدأت هذا البحث مستعينًا بالله -سبحانه وتعالى- مستلهمًا منه الهدي، والرشاد، طلبًا منه التوفيق والسداد،چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ[الأعراف: ٤٣]، وفي خاتمة هذا البحث أحب أن أبرز بعض الحقائق الموضوعية المتمثلة فيما وفقني الله -سبحانه وتعالى- إلى الوصول إليه من نتائج:

- الدور الجهادي العظيم الذي قامت به غرناطة التي تحملت عبء مواجهة المد الصليبي.
- الدور المساعد لدولة بني مرين لغرناطة في صمودها، وجهادها.
- الدور المساند لدولة بني مرين لشيوخ المجاهدين والمشجع لهم في الجهاد ضد الممالك النصرانية، واستخدامهم كشوكة في حلق هذه الممالك؛ حتى لا تحقق أهدافها.
- الدور السياسي الفاعل لشيوخ المجاهدين في تصفية الخلافات بين المملكتين: الغرناطية، والمرينية.
- التناقض في العلاقة بين شيوخ المجاهدين والممالك النصرانية في الأندلس ففي الوقت الذي كانت ودية مع مملكة أراجون، نجد أنها كانت عدائية مع مملكة قشتالة.

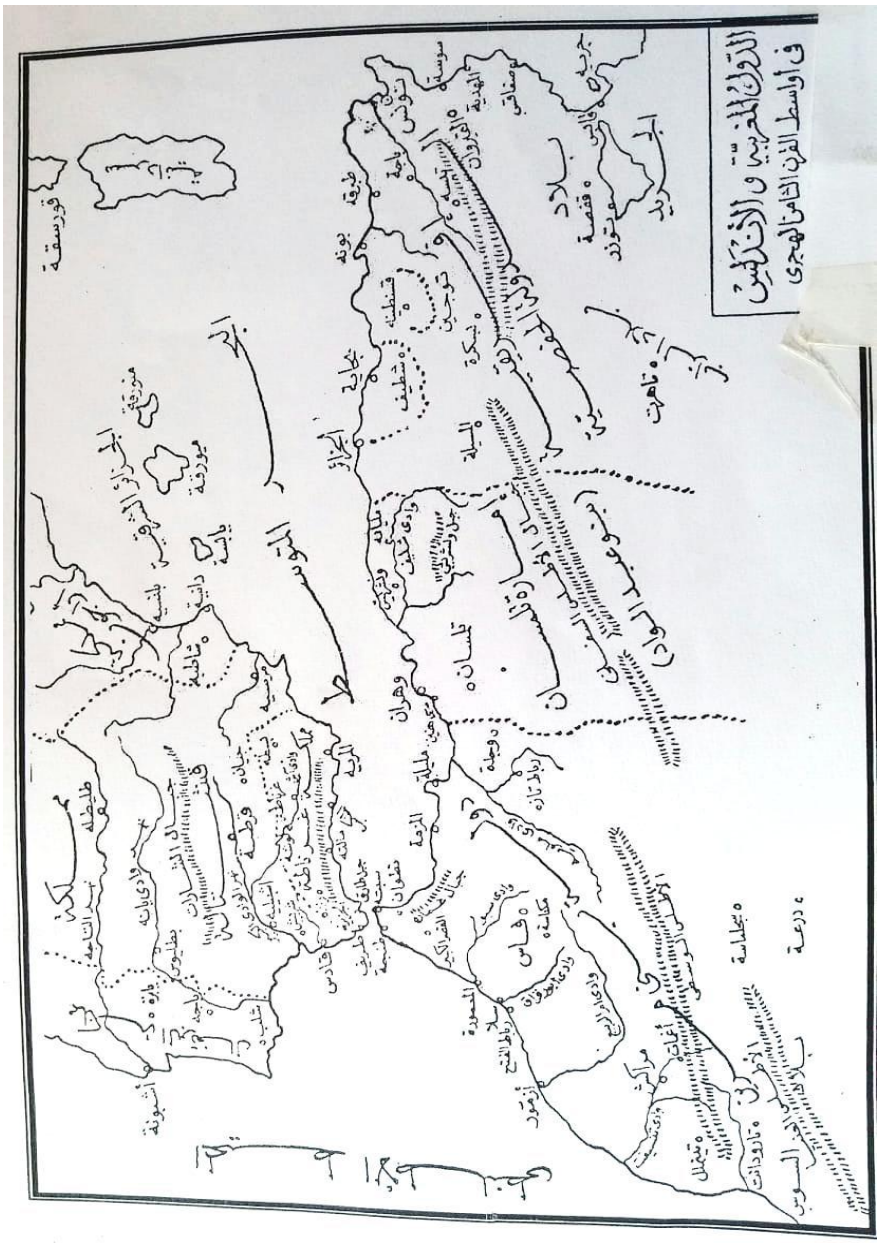
الدول المغربية والأندلس
في أواسط القرن الثامن الهجري
البحر المتوسط
المحيط الأطلسي
بلاد الجريد
بلاد قسنطينة
بلاد المغرب الأوسط
بلاد المغرب الأقصى
بلاد الأندلس
بلاد السودان
بلاد الزاب
بلاد الحضنة
بلاد الهضاب العليا
بلاد الصحراء
بلاد الساحل
بلاد الجبال
بلاد السهول
بلاد الأنهار
بلاد الوديان
بلاد الجزر
بلاد الموانئ
بلاد الثغور
بلاد الحدود
بلاد الداخل
بلاد الخارج
بلاد الشرق
بلاد الغرب
بلاد الشمال
بلاد الجنوب
بلاد الوسط
بلاد الأطراف
بلاد المركز
بلاد الهامش
بلاد المتن
بلاد الحاشية
بلاد الأصل
بلاد الفرع
بلاد الجذر
بلاد الساق
بلاد الورق
بلاد الثمر
بلاد الزهر
بلاد الورد
بلاد الياسمين
بلاد الريحان
بلاد النعناع
بلاد الشيح
بلاد القيصوم
بلاد الحرمل
بلاد الشيح
بلاد القيصوم
بلاد الحرمل

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

- **القرآن الكريم.**

١- ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (ت ٨٠٧/ ١٤٠٤م):

- **روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، (الرباط ١٩٩١م).**
- **نثر فرائد الجمان في شعر من ننظمي وإياه الزمان، تحقيق: محمد رضوان الداية (بيروت ١٩٧٦م).**

٢- ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (٧٨٨هـ/ ١٣٨٩م):

- **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرح وكتب هوامشه: طلال حرب، (بيروت ١٩٩٣م).**

٣- الحسن الوزان: محمد الفاسي (ت ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م):

- **وصف أفريقية، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي، محمد الأخضر، (بيروت ١٩٨٣م).**

٤- ابن حجر العسقلاني: الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبعه وصححه: الشيخ/ عبد الوارث محمد علي، (بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).**

٥- الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت ٨٦٦هـ/ ١٤٦٣م):

- **الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس (بيروت ١٩٨٤م).**

٦- ابن الخطيب: لسان الدين (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٦٤م):

- **الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، (القاهرة ١٩٧٤م).**
- **أعلام الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، القسم الثاني، تحقيق: ليفي بروفنسال، (بيروت ١٩٥٦م).**
- **اللمحة البدرية في الدولة النصرية، (بيروت ١٩٧٨م).**
- **رقم الحلل في نظم الدول، أعده للطبع وعلق عليه وقدَّم له: عدنان درويش، (دمشق ١٩٩٠م).**

- كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: محمد كمال شبانة، (القاهرة ١٩٦٦م).
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، (القاهرة د.ت).
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تقديم وتحقيق: السعدية فاغية- الجزء الثالث، (المغرب ١٩٧٩م).
- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، (القاهرة ١٩٨١م).

٧- ابن خلدون: عبد الرحمن (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):

- المقدمة، دار المعارف ١٩٥٣م
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الرابع والسادس والسابع، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت ١٩٧٩م.

٨- ابن أبي زرع: أبو الحسن بن عبد الله الفاسي (ت ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م):

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب، وتاريخ مدينة فاس، (الرباط ١٩٧٢م).
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، (الرباط ١٩٧٢م).

٩- السلاوي: أحمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م):

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (المغرب ١٩٥٥م).

١٠- ابن فضل الله العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

- وصف إفريقية والمغرب والأندلس، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، (تونس د.ت).

١١- القلقشندي: شهاب أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (القاهرة د.ت).

١٢- المقري: أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٧١م):

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس (بيروت ١٩٦٨م).

- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون (القاهرة ١٩٣٩م).

١٣- ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).

- لسان العرب، (بيروت د.ت).

١٤- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):

- معجم البلدان، (بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

١٥- إبراهيم حركات:

- المغرب عبر التاريخ، (المغرب ٢٠٠٠م).

١٦- إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر:

- المعجم الوسيط، ت: مجمع اللغة العربية- طبعة دار الدعوة.

١٧- أحمد مختار العبادي:

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (القاهرة ١٩٦٨م).
- فترة مضطربة في تاريخ غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، بمدريد م٢٧، ٢٨ (١٩٥٩- ١٩٦٠م).

١٨- أحمد الطوخي:

- مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، (الإسكندرية ١٩٩٧م).

١٩- شارل اندريه جوليان:

- تاريخ شمال أفريقيا، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، (تونس، ١٩٧٨م).

٢٠- عبد الوهاب بن منصور:

- قبائل المغرب، (الرباط ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

٢١- عبد القادر زمامة:

- أبو الوليد بن الأحمر، (الدار البيضاء ١٩٦٨م).

٢٢- عبد الرحمن علي الحجي:

- التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (دمشق ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٢٣- عبد الله سعيد بن محمد سافر الغامدي:

- دور المتطوعة في حركة الجهاد ضد الصليبيين والمغول، مجلة المؤرخ العربي عدد مارس ١ (١٩٩٤م).

٢٤- عمر سعيدان:

- العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر (م) وسقوط غرناطة، (تونس ٢٠٠٣م).

٢٥- محمد عبد الله عنان:

- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، (القاهرة ١٩٤٩م).
- لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، (القاهرة ١٩٦٨م).

٢٦- الحسن الوزان:

- وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد زنبير (المغرب ١٩٨٣م).

٢٧- محمد عيسى الحريري:

- تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، (الكويت ١٩٨٥م).

٢٨- محمد كمال شبانة:

- يوسف الأول ابن الأحمر، سلطان غرناطة (٧٣٣- ٧٥٥هـ)، (القاهرة ١٩٦٩م).

٢٩- مصطفى أبو ضيف:

- أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصر الموحدين وبني مرين، (إسكندرية ١٩٨٣م).

٣٠- نظير حسان سعداوي:

- جيش مصر في أيام صلاح الدين، (القاهرة ١٩٥٩م).